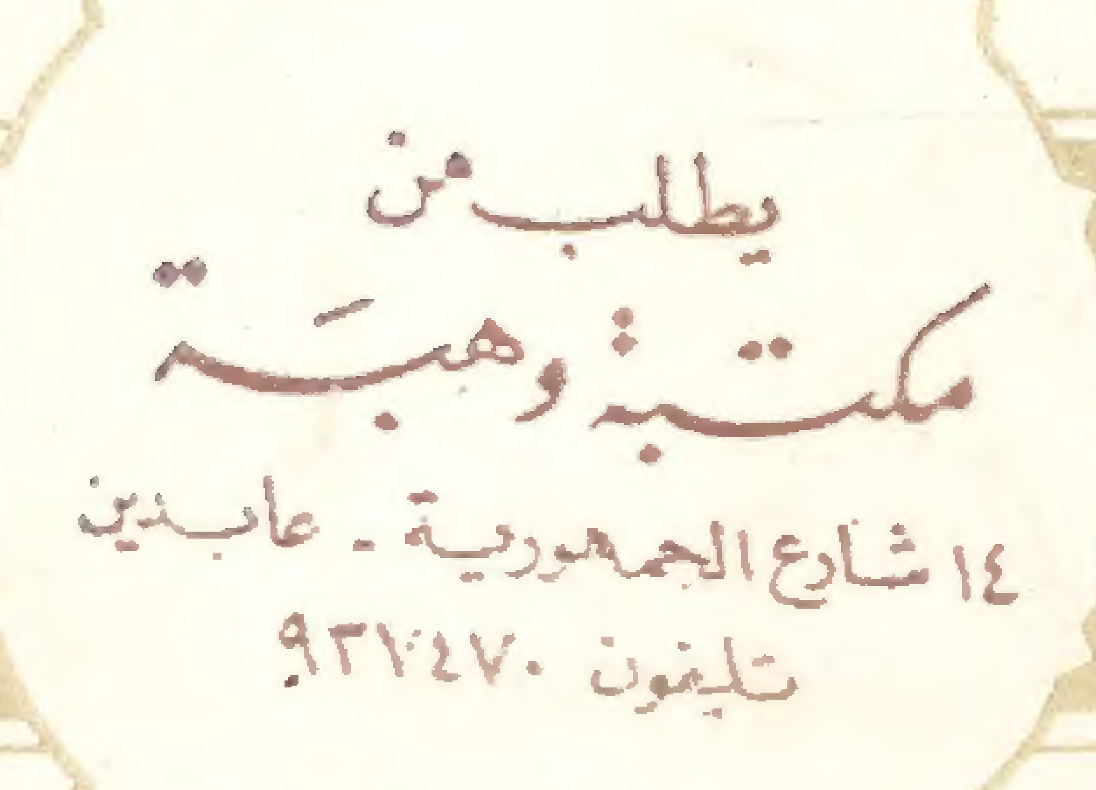
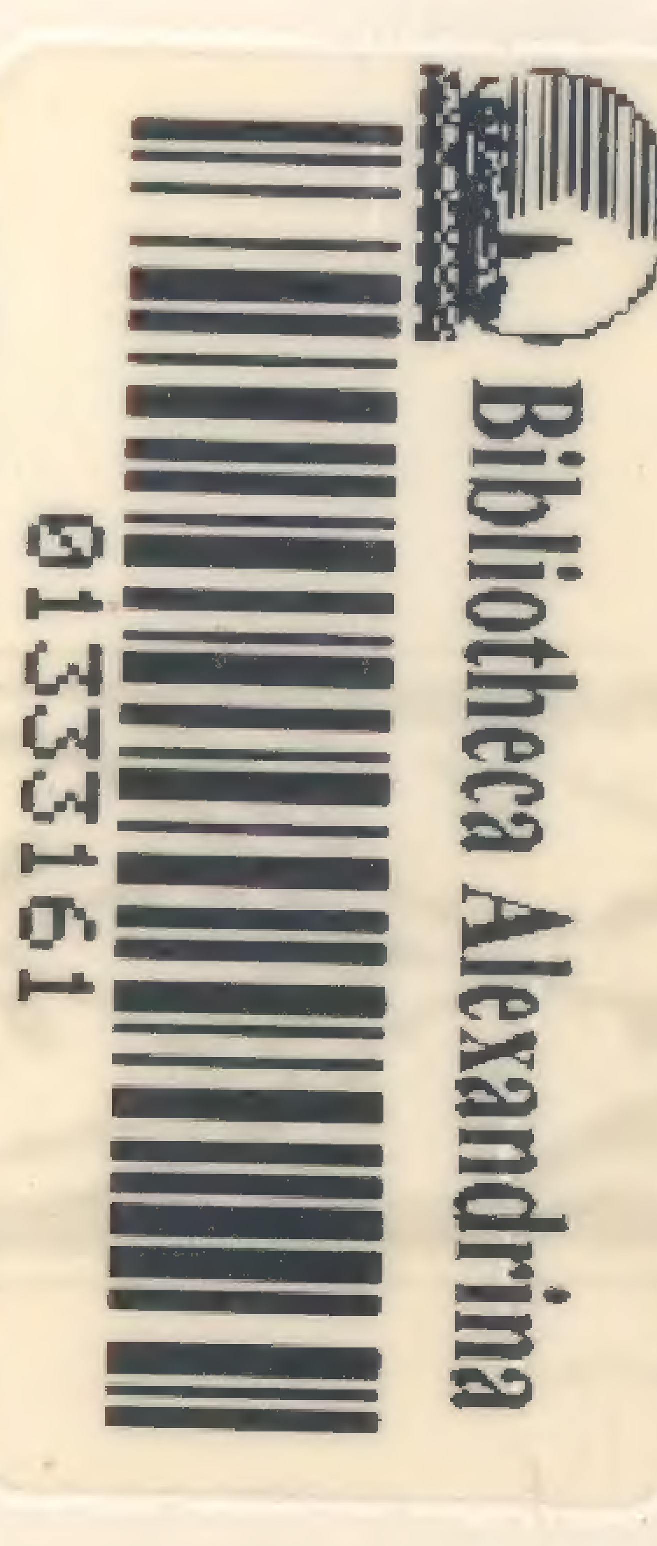
آدم عبد الله الألوري







آدم عبد الله الألوري

فلسفة النبوة والأنبياء

في ضوء القرآن والسنة

يطلب من : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر : ٣ حبيشان الحوصلي
بجوار جامع [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيـــــه

لقد قللنا كمية المطبوع من هـــذا الكتاب فى طبعته الأولى لتدارك ما يكون فى هـــذا البحث الجديد من نوعه من النقائص والانتقادات •• حتى يظهر الكتاب كاملا ، والبحث ناضجا فى الطبعـــة الثانية ــ باذن الله ــ ونرجو مراجعتنا ومراسلتنا بالعنوان الموضح أدناه ••

ولا يضرنا من سرقوا من بحثنا هــذا ــ أثناء اعداده للطبع وتداوله هنا وهناك مطبوعا على الآلة الكاتبة ــ ثم قاموا بنشره فى المجلات ونسبة البحث لأنفسهم •• فليس الصدى كالصوت ، وليست الصورة كالشخص الحقيقى ••

وجزى الله خيرا من أعاننا على طلب الحقيقة ، وزيادة العلم ، وتقـــدم البحث •• واثراء المكتبة العربية والاســـلامية بالفكر الناضج ••

ونرجو من القارىء أن يتولى تصحيح أخطاء ما قد يجده فى الكتاب ــ ان كان القارىء أهلا لذلك •• حسن النية والقصد . فجزاه الله خيرا ••

آدم عبد الله الألورى

مدير مركز التعليم العربى الاسلامى ــ

أجيجى ــ لاجوس ــ نيجريا ص•ب٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الباعث الى اخراج هذا البحث

بسم الله العلى القدير ، والصلاة والسلام على محمد الهادى ، البشير النذير .. أما بعد :

فلقد دعانى الى اخراج هذا البحث ما كان يرد على فى مجالس دروس من بعض المثقفين بالثقافة الغربية فى هذه البلاد من أسئلة حول النبوة والأنبياء ، وهى أسئلة تجر وراءها شبهات يجب على أهل العلم فى الاسلام أن يكونوا لها بالمرصاد.

● منها قول بعض النساء : لماذا ينكر الاسلام نبوة النساء مع القول بأن الاسلام أول دين رفع من شأن المرأة .. مع العلم بأن التوراة والانجيل يثبتان نبوة النساء ؟

● ومنها السؤال : عن عدم ظهور الأنبياء فى اليونان والرومان وغيرهم من الأمم الراقية القديمة ، بل تحدد مكان ظهورهم فى منطقة معينة من الشرق ؟ ألم يرد الله تعميم فضل النبوة للأمم الأخرى ؟

● ومنها السؤال : هل خصص الله بنى الأسود بفضل فى القرآن ؟ وهل بعث الله فيهم نبيا ؟

● ومنها السؤال : لماذا لم يبعث الله الأنبياء لتعليم المعارف والصناعات ولم يشتركوا فى البحوث العلمية ، بل اقتصروا على الاخبار بالأمور الغيبية التى لا تقوم على المشاهدة والتجربة مع أنكم قلتم ان الأنبياء أتوا لاسعاد البشرية فى مصالح الدين والدنيا ؟

● ومنها القول بأن أكثر الأنبياء كانوا من بنى اسرائيل ، أليس ذلك دليلا على صدق دعواهم أنهم « شعب الله المختار » ؟

● ومنها القول بختم رسالة السماء فى الدنيا الحاضرة وفى وقت أحوج ما يكون الناس اليها •

وللاجابة على هذه الأسئلة على ضوء نصوص القرآن أخرجت هذا البحث المتواضع وكرست مواضيع البحث على الأصول الآتية :

١ ــ بناء مباحث التوحيد على الحكم العقلى المستنبط من النصوص الشرعية •

٢ ــ أدوار الاجتهاد والتقليد فى علم التوحيد كما فى علم الفقه •

٣ ــ مصادر تاريخ النبوة والأنبياء •

٤ ــ عدم انحصار النبوة والرسالة فى منطقة أو أمة معينة دون غيرها •

٥ ــ الفرق بين النبوة والرســالة •
٦ ــ التقارب بين النبوة والحكمة والعلم •
٧ ــ اثبات نبوة النســاء بخلاف رسالتها •
٨ ــ بحث جديد فى تقسيم الوحى الى أربعة أقسام •
٩ ــ من يظن أنهم أنبياء بمفهوم نص القرآن •
١٠ ــ تحقيق القول فى نبوة بعض الحواريين ورسالتهم •
١١ ــ جــواز الاستشهاد بالتوراة والانجيل فى معرفة الأنبياء المبهمين •
١٢ ــ توضيح النبوة فى الاسلام من ملابساتها •
١٣ ــ امكان سلب النبوة وعدمه •
١٤ ــ الحكمة فى اغلاق باب النبوة وختم الرسالة بالنبى محمد ﷺ •

ولقد أبرزت هــذا البحث أولا ضمن بحوث أخرى تحت عنوان « الاسلام بين دعاته وأدعيائه » فعرضته على فضيلة الشيخ الدييانى شيخ الجامعة الاسلامية الأسبق بالبيضاء فى ليبيا عام ١٩٦٨ ، فتفضل باحالة البحث على لجنــة للمراجعة ، فقامت اللجنة بالعمل خير قيام ، وتقدمت لى بملاحظات قيمــة عملت بها من تفصيل ما كان مجملا وتوضيح ما كان مشكلا فجردت من البحث موضوعا خاصا بعنوان : « فلسفة النبوة » وتوسعت فيه ثم بعثت به الى فضيلة شــيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد الفحام ــ أيام مشيخته ــ فعرضه على مدير

البحوث الاسلامية ــ حينذاك ــ الدكتور أحمد ابراهيم مهنا الذى كلف فاحصا قديرا بمراجعته فأبدى ملاحظاته الرشيدة عام ١٩٧١ فانتفعت بها •

وقد سجلت رســـالة اللجنتين هنـــا مع تقريريهما حتى يقرأهما القارىء قبل قراءة البحث ليستطيع أن يخرج من ذلك كله بفكرة واضحة جلية فيما تمسكت به وفيما لم أتمسك من آراء • على أنى مجتهد ، ولكل مجتهد نصيب •• ان اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، وان اجتهد فأصاب فله أجران •

جزى الله أولئك المشـــايخ خيرا فيما أبدوا من النصح والارشاد ، وأرجو أن لا أحمل الوزر ان لم يكن لى الأجر ، كما ألتمس من القارىء العذر ان لم أستوجب منه الشكر •

وما توفيقى الا بالله عليـــه توكلت واليه أنيب •

آدم عبد الله الألورى



● نص رســالة الجامعة الليبية ويليه خلاصة التقرير :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الســـيد المحترم الداعيــة الموفق الشـــيخ آدم عبــد الله الألورى ـ مدير المركز العربى الاســلامى : أجيجى ـ نيجيريا •

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •• وبعــد :

فانها لعقلية ناضجة ، واخلاص مشهود به ، ذلك الذى بدا واضحا فى كتابكم « الاسلام بين دعاته وأدعيائه » ولا شك أنها محاولة جديدة قد تؤدى الى اسكات بعض خصوم الاسلام اذا ما استوفت حقها من البحث العميق ، غير أننا حرصا على ظهور الكتاب فى صورة تمثل العمق والثقافة التى تتمتعون بها والتى يجب أن يعرض بها الاسلام على مخالفيه فى عصر صار أهله لا يقتنعون الا بما يغذى عقولهم ويطمئن نفوسهم بأسلوب يحافظ من بعيد ومن قريب على جوهر الدين ولا يزج به فى متاهات قد يؤولها المغرضون ضده ويصدون بها عن سبيله ، قد تلاقت رغباتنا على أن نبدى لكم رأينا بالصراحة التى يلزمنا بها الاسلام وبالنصح الذى توجبه علينا الاخوة الاسلامية التى تجمع وشائجها بين قلوبنا •

وسنوجز أهم ما لفت أنظارنا واثقين من أن ألمعيتكم ستدرك التفصيلات بمجرد المراجعة العابرة للكتاب ٠

وخلاصة ما نريد أن نقـوله : ان الكتاب فى حاجة الى التمحيص العلمى ، ونطلب اليكم مخلصين باسم الاسلام الذى نتشرف جميعا بالانتساب والدعوة اليه ـ أن تراجعوا هـذه المباحث الدينية الشـائكة فى مظانها ومراجعها التى تناولتها بالدقة والاحاطة الكافية حتى يؤدى مهمته المنشودة ٠

كمـا نكرر الرجاء أن تكون هـذه الرسـالة حافزا ـ لا مثبطا ـ على اخراج هـذا الكتاب الى حيز الوجود فى الصورة التى نرجوها جميعا ٠

وفقكم الله وسـدد خطاكم ٠٠

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ٠٠

محمد المدنى الشويرف

(رئيس لجنة المراجعة ومدير الوعظ والارشاد)

الرقم ٥٨/٣٤
التاريخ ١٣/١/١٩٦٩

* * *

● موجز ملاحظات اللجنـة الليبية :

نورد فيمـا يلى أهـم ما ورد فى ملاحظـات اللجنـة الليبيـة وهم :

١ ــ فضيلة الشيخ محمد المدنى الشويرف ــ رئيس اللجنة
٢ ــ فضيلة الشيخ محمود ضيغم
٣ ــ فضيلة الشيخ محمد المختار المهدى
٤ ــ فضيلة الشيخ محمد أمين هلال

أولا : وحـدة الأديان فى العقيدة شىء متفق عليه اذا نظرنا الى الأديان الصحيحة من واقع القرآن الكريم •
أما اذا نظرنا الى الأديان الآن حسب واقعها فهناك خلافات جوهرية نتيجة التحريف والتبديل •

ثانيا : التعبير بالنبوة الصغرى عن الرؤيا الصادقة غـير مسلم ، ودعوى قصر نبوة بعض الأنبياء على العلوم والمعارف غير مسـلمة ، فما بعث الله نبيا قط لتعليم الناس صـناعة • وكل ما فى المسـألة أن الله قد علم بعض الأنبيـاء بعض الصناعات وهو أمر ثانوى بجانب رسالته •

ثالثا : الاسلام ليس عدوا للعلم ولا للفلسفة بل هو صدوق ودود لهما اذا سارا على طريقهما السليم ولا يمكن أن تتنافى الفلسفة الصحيحة والعلم الصحيح مع الدين •

أما اتحاد مصدر الثلاثة فهذا ما يبلبل أذهان البعض •

كان من المفيد أن تتعرضوا لدعاوى المتعالمين عن تناقض الدين مع العلم أو الفلسفة بالتفنيد كما نريد أن تفرقوا بين الحكمة المحدثة وبين الحكمة المرادة فى وصف الأنبياء والصلحاء فى القرآن •

رابعا : اثبات النبوة أمر توقيفى لابد من الرجوع فيه الى الوحى وليس لنا أن نجيز نسبة النبوة الى أحد لم يرد عندنا نص سماوى بشأنه •

اننا نؤمن بأن هناك أنبياء غير من ذكروا فى القرآن ولكن ليس لنا أن نحدد أسماء ونجوز أن يكونوا فى مصاف الأنبياء••

* * *

« هذه خلاصة ما ورد فى تقرير ليبيا ولقد تركنا بالكتابة ما يبلبل الأذهان وما يحتمل المحتملات حسبما نصيحة اللجنة كما سيرى القارىء قريبا ان شاء الله » •

« المؤلف »

* * *

● نص رســالة الأزهر الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ آدم عبــد الله الألورى ــ مدير مركز التعليم العربى الاسلامى : بأجيجى ــ نيجيريا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ‥ وبعد :

فبالاشارة الى كتابكم المرسل لفضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر والخاص بطلب مراجعة كتاب « فلسفة النبوة »

فمرسل لسيادتكم مرافقا لهــذا الكتاب صــورة التقرير الخاص بــه ٠

رجاء تدارك ما جاء فيه شاكرين لكم هذا الجهد الطيب ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

تحريرا فى ٢٥ من شوال ١٣٩١ هـ
الموافق ١٢ من ديسمبر ١٩٧١ م

مدير ادارة البحوث والنشر
دكتور أحمــد ابراهيم مهنا

* * *

● **نص ملاحظات الأمانة العامة ـ بالأزهر الشريف :**

١ ـ عقب المؤلف على قول ابن حزم « بوجوب قبول الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن وثبت تصديقهم ، أما الذين لم ينص على تصديقهم ولا تكذيبهم فلا يجزم بنبوتهم » •

يرى المؤلف أن القول بنبوتهم أولى من الرفض فى هذا المجال استنادا على ما ورد فى التوراة بما يثبت ذلك •

ونقول : أين التوراة التى يمكن الاعتماد عليها فى هذا المجال من النفى أو الاثبات •

٢ ـ وأما استناد المؤلف على بعض الأسماء التى ذكرت فى القرآن مثل « طالوت » الذى قال عنه المؤلف فى كتابه : « ان نبوته ثابتة فى القرآن » • بقوله تعالى : « **فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى** » (١) أنه علم ذلك بوحى من الله •

فنقول : ان القرآن قد ذكره على أنه ملك فحسب ، اقرأ قوله تعالى : « **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** » (٢) وربما علم بخبر النهر عن طريق نبيهم •

٣ ـ كما يستدل المؤلف على نبوة كل من أوحى اليه أو حكى الله على ألسنتهم الارشاد والنصحية مثل لقمان وغيره •

---

(١) البقرة : ٢٤٩ (٢) البقرة : ٢٤٧

لكن الذى عليـــه الجمهور هو أن هؤلاء ليسوا بأنبياء لأن الوحى قد قصد به الالهام كما فى قول الله تعالى : « **وأوحينا الى أم موسى** » (١) اذن فالايحاء والنصح والارشاد غير كاف لاثبات نبوة هؤلاء وان لقمان وغيره حكماء وأولياء ولم يقل بنبوتهم الا القليل غير مستندين الى أدلة واضحة •

٤ ــ تكلم المؤلف عن حالة الأنبياء عند تلقى الوحى وأنهم لا يبقون على حالتهم البشرية بل ينسلخون عنها فيصبحون فى حالة ملائكية ليتلقوا الوحى من الله مباشرة أو بواسطة ، مع أن الله قادر على أن يهيىء للأنبياء المشاهدة وهم على حالتهم البشرية •• اقرأ قول الله تعالى « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحـــد** » (٢) •

اذن فيؤخذ من هـــذا أنه يوحى اليـــه وهو على حالته البشرية ليكون ذلك أوقع فى النفس •

٥ ــ تكلم المؤلف عن تسمية الأنبياء عند العبرانيين حيث كانوا يقابلون كلمة النبى عنـــد العرب بكلمة الناظر أو الرائى أو رجل الله أو الكاهن ، أما كلمة النبى عندهم فكانت تطلق على المتكلم بصوت جهورى •

وهـــذه التسمية تسمية اصطلاحية تعارف عليها العبرانيون فذكرها على سبيل سرد كلامهم لا مانع من ذلك ، أما اطلاق كلمة

---

(١) القصص : ٧ (٢) الكهف : ١١٠

الناظر أو غيرها على الرسول فأمر غير مقبول لأن الله تعـالى سماهم رسـلا وأنبياء .

٦ ـ ذكر المؤلف أنه قد بعث فى الأمة العربية الثانية أنبياء وهم « ملكى صادق » و « اسماعيل » و «الخضر» و «شعيب» .

والحق أنه لم يتفق على نبوة «ملكى صادق» ولا «الخضر» وأن الاستدلال على نبوة مثل هؤلاء غير معتد به .

٧ ـ ادعى السيد المؤلف أن حواريى عيسى عليه السلام أنبياء مستندا الى قول الله تعالى : « **واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى** » (١) .

فنقول : المراد بالوحى فى الآية الكريمة دائر بين أمرين : الالهام ، أو الوحى لهم عن طريق عيسى عليـه السلام .

٨ ـ أراد المؤلف أن يتكلم على نبوة النساء مستندا فى حديثه على ايحاء الله لهن قائلا : ان كل من أوحى الله اليـه ثبتت نبوته ، ذاكرا على سـبيل المثال « مريم » وغيرها ومعتمدا فى رأيه هذا على تأويل ابن حزم لقول الله تعالى : « **وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم** » (٢) حيث قال ابن حزم : ان المراد هم الرسل لا الأنبياء .

لكننا نقول : قد يراد بالوحى الالهام ، فضلا عن أن الله قد جعل الرجال قوامين على النساء أما تأويل ابن حزم هـذا فلا ينهض لاثبات مدعاه .

---

(١) المائدة : ١١١

(٢) يوسف : ١٠٩ ، والنحل : ٤٣

٩ ـ تكلم المؤلف عن امكان سلب نبى من الأنبياء مستندا على ما جاء فى التوراة من أن « بلعام بن باعوراء » كان نبيا ثم صار مسلوبا .

والصحيح أن بلعام لم يك نبيا حتى يمكن أن يقال انه سلب ، لكن قيل فيه انه عالم من علماء بنى اسرائيل فضلا على أن القول بسلب الأنبياء غير مستقيم لأن الله سبحانه يستحيل عليه البداء ، اقرأ قوله تعالى : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » (١) .

١٠ ـ تحدث المؤلف عن مقارنة الحكمة بالنبوة ويذكر أن الحكمة هى النبوة ذاتها مستدلا فى كتابه بما نقله عن الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس .

ونقول : بأن الحكمة غير النبوة ولا يمكن أن يقال لكل من أوتى الحكمة نبى والا لدخل فى الأنبياء ممن ليس منهم أصلا .

لهذا كله نرى أن يكتب الى السيد المؤلف بتدارك ما جاء فى هـذا التقرير ، وبعد ذلك لا نرى مانعا من تداول هـذا الكتاب ونشره .

والله الموفق .

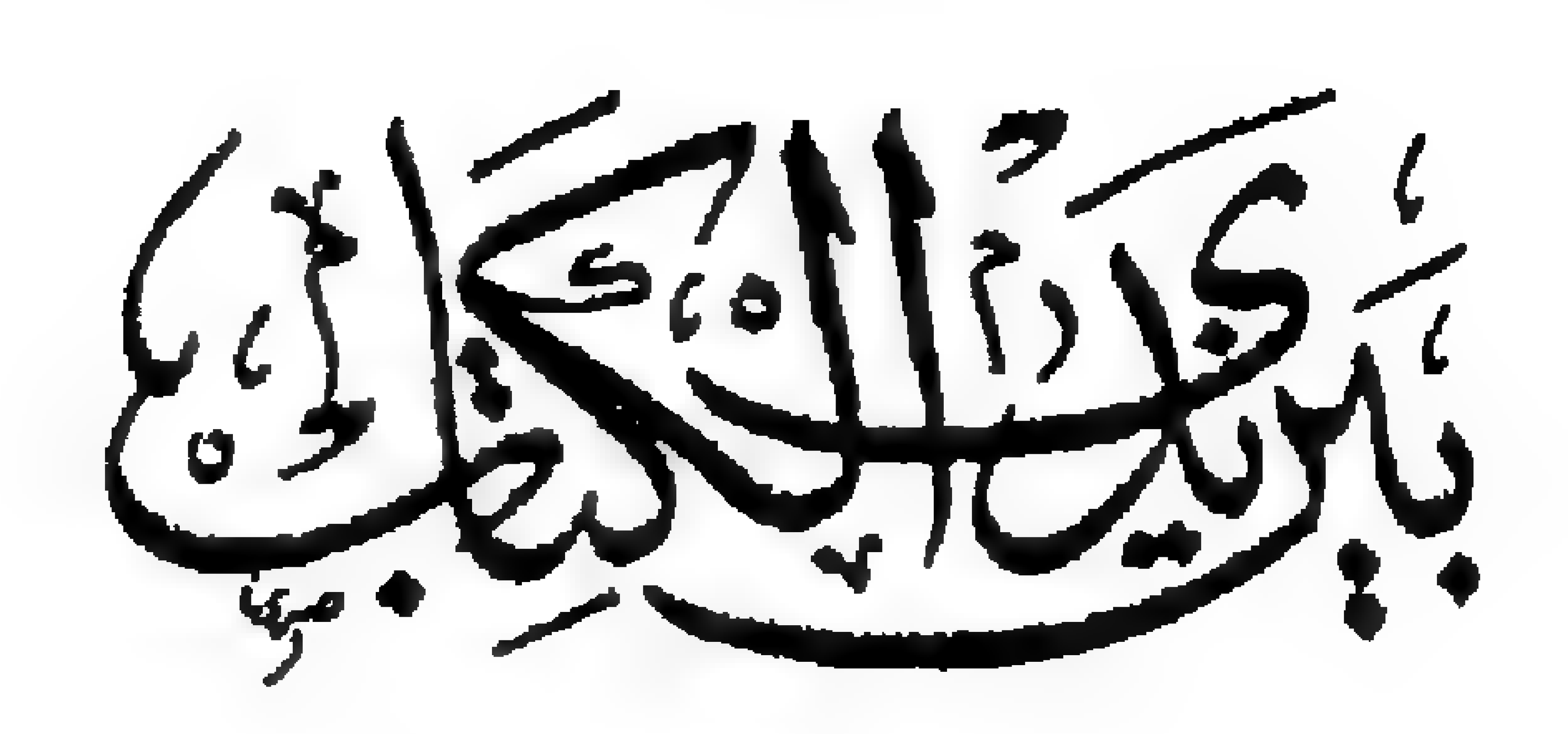
تحريرا فى ١٠/١٢/١٩٧١

عابدين محمد على يونس

« هـذا آخر التقارير وفيما يلى تعليقاتنا عليها » .

« المؤلف »

(١) الانعام : ١٢٤



- عمدة هــذا البحث .
- الأديان بين الايمان والالحاد .
- قاعدة عامة وضعها الاســلام مع المخالف .
- قاعدة الاســتعانة بالتــوراة والانجيل لتفسير القرآن .
- الفرق بين التوراة والانجيل .. وتفسيرهما .
- التوراة والانجيــل .. بــين الرفض والقبول .
- بين اثبات النبــوة ونفيها عن انســان .
- مدخــل البحث .. فى ابواب مسائل علم التوحيد .
- قيام علم التوحيد على الحكم العقــلى .
- اطوار التوحيد بين الاجتهــاد والتقليد .

• **عمـــدة هـــذا البحث ، وفى ثنايا ســـطوره تعليقاتى على تقارير اللجنة الأولى والثانية :**

١ ـ جزى الله خير أئمة الاســـلام سلفا وخلفا عما قاموا به من المحافظة على الدين والحرص عليـــه ألا يتسرب اليـــه ما ليس منه وان كان بعضهم يتجاوز أحيانا حد الاعتدال الى ما يشبه الغلو فانهم ـ رحمهم الله ـ مشكورين على فعلهم اذ لولا ما كانوا يفعلون لمـــا بقى الاســـلام دينا حنيفا مستقيما الى اليـــوم •

٢ ـ حقا ان التقريرات الواردة من العلماء الذين راجعوا كتابى هذا هو رأى الجمهور من دون شك ولكنه ليس رأيا مجمعا عليه ، بل هناك آراء مخالفة ، ورحم الله الامام أحمد بن حنبل لقوله « من ادعى الاجماع فهو كذاب » •

لهذا يجب امعان النظر وعدم التسرع فى الحكم على رد ما ذهبنا اليه قبل النظر فى الحجج والبراهين التى استندنا اليها لمجرد التعصب والتقليد لرأى نسب الى الجمهور وهو يحتمل الخطأ والصواب • أو قول نسب الى الاجماع وهناك خلاف له •

٣ ـ لقد أثار أعداء الاســـلام من المبشرين والمستشرقين مسائل فى الاســـلام كثيرة فى القرن العشرين غيرت مجرى التأليف فى تاريخ الاســـلام وأدبه ، ولم يجد العلماء بدأ من

العمل بمقتضى المجرى فقاموا بتنقيح كتب السيرة والحديث والتاريخ والتفسير لرد الشبهات التى أثارها الأعداء حول الاسلام كمسألة الاسترقاق وانتشار الإسلام بالسيف وتعدد الزوجات •••••••

ولا يزال مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر وغيره من المجامع العلمية فى مختلف البلاد يقومون بتنقيح كتب التفسير والحديث والتاريخ لذلك الهدف •

* * *

● **الأديان بين الايمان والالحاد :**

ان جنود الالحاد اليوم يسعون سعيا حثيثا الى قلع جذور الايمان من أعماق القلوب ولا يستثنون دينا من دين بل ظلوا يكيلون لجميع الأديان السماوية بالكيل الواحد جزافا ليرموها فى سلة الخزعبلات والخرافات ، لأنها بزعمهم لم تقدم الى البشرية غير الغيبيات التى لا تقع تحت الحس والتجربة ، ولم تقدم وسائل الغنى والنعم والرفاعية والترف بل كانت عقبة فى سبيل الاختراعات والكشوفات التى سعدت بها البشرية اليوم • الى غير ذلك من مغالطات وسفسطات يروجونها ويدسونها فى أفكار الشباب الغر •

وان كان هؤلاء شرذمة قليلين فان الفساد غالبا أكثر انتشارا من الصلاح اذا لم يقاوم فى أول الوقت المناسب ، ان

الالحاد ليس جديدا فى دنيا الناس ولكنه يتشكل فى صور ليظهر فى مختلف الأزمان بمختلف الألوان •

لهذا أصبح جديرا بأصحاب هذه الأديان السماوية أن يتضافروا لصد طغيان هذا الالحاد ليلتقوا على مبدأ حقيقة التدين والاعتراف بالله واحد خالق الكون بأسره وعلى حقيقة الوحى المنزل على الأنبياء ، وعلى تقرير فوائد ما جاءت به الأديان من الكتب المنزلة على الأنبياء •

وقد دعا الاسلام الى التسامح مع اليهود والنصارى رغم موقفهما السلبى ضد الاسلام دعاهما الى التضافر والتكتل ضد المشركين بقوله تعالى : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » (١) •

* * *

● **قاعدة عامة وضعها الاسلام مع المخالف :**

لقد دعا الاسلام الى الاعتدال فى معاملة المخالف ومقاتلة العدو ومناظرة الخصوم لأن العدل والاعتدال من مزايا الاسلام كما جاء فى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ،**

---

(١) آل عمران : ٦٤

اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا اللـــه ، ان اللـــه خبير بمـــا تعملون » (١) .

* * *

- **قاعدة الاستعانة بالتوراة والانجيل لتفسير القرآن :**

ان علماء الصحابة وعلى رأسهم عبد الله بن عباس كانوا يستعينون بالذين أسلموا من علمـــاء بنى اسرائيل مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما فى توضيح ما انبهم وتفصيل ما أجمل فيما يخص أنبياء بنى اسرائيل من نصوص القرآن . وحجتهم فى ذلك قوله تعالى : « **فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك »** (٢) .

وعلى ذلك كان علماء التابعين يفسرون القرآن حتى جاء الطبرى وابن كثير وغيرهما . ويقول ابن كثير فى مقدمة « البداية والنهاية » : لسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع فى نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رســـوله وهو القسم الذى لا يصدق ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه .

والحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه عن رســـول الله ﷺ أنه قال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل

---

(١) المائدة : ٨   (٢) يونس : ٩٤

ولا حرج ، وحدثوا عنى ولا تكذبوا على ؛ ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فهو محمول على الاسرائليات المسكوت عنها عندنا فليس عندنا ما يصدقها ولا يكذبها فيجوز روايتها للاعتبار ، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار والابطال •

* * *

● الفرق بين التوراة والانجيل وتفسيرهما :

يجب أن نعرف أن هنـــاك فرقا بين التـــوراة والانجيل الأصليين وبين التلمود الذى هو أقوال اليهود فى شرح التوراة وبين كتب الرهبان التى هى أقوال وآثار وأخبار من علماء النصارى •

فان القرآن الذى حقق تحريف الكتابين لم ينكر بقاء النص الصحيح فيهما بدليل قوله تعالى بعد اثبات التحريف والتبديل : « **وعندهم التوراة فيها حكم الله** » (1) •

وقوله تعالى : « **يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم** » (2) •

وقوله تعـــالى : « **قل فأتوا بالتـــوراة فاتلوها ان كنتم صادقين** » (3) •

---

(1) المائدة : ٤٣
(2) المائدة : ٦٨
(3) آل عمران : ٩٣

أما قول النبى ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » فمحمول على التلمود ، وكل ما كتبوه من غير التوراة والانجيل لأننا نصدقهم فيما وافق القرآن والعقل.ونكذبهم فيماخالف القرآن وخالف العقل وعلينا أن نقف الموقف الوسط فيما سوى ذلك .

لهذا قال ابن كثير فى البداية والنهاية : « ليس للجنب لمس التوراة » .

أورده ابن كثير فى كتابة تحت هذا العنوان وقال : « ذهب فقهاء الحنفية الى أنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث ، وحكاه الحناطى فى فتاويه عن بعض الشافعية » ، ثم ذكر قول ابن تيمية : « أما من ذهب الى أنها كلها مبدلة من أولها الى آخرها ولم يبق منها حرف الا بدلوه فهذا بعيد ، وكذا من قال لم يبدل شىء منها بالكلية بعيد أيضا ، والحق أنها دخلها تبديل وتغيير وتصرفوا فى بعض ألفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا فى معانيها وهذا معلوم عند التأمل » .

وذكر شكيب أرسلان عند تعليقه على تاريخ ابن خلدون قال بعد بحث طويل وتحقيق التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل : « وهذا كله لا ينفى ما يجب من حرمة التوراة والانجيل وتقديسهما وفقا لما فى القرآن العظيم الذى يوجب لهما هذه الحرمة من حيث وجودهما الأصلى ولكنه لم يضمن صحة نسخ التوراة والانجيل التى تعاورتهما أيدى الناس

بالحذف والتبديل بحسب الأهواء ، والله من وراء العلم » [1] .

ثم قال ابن كثير : وهكذا يوجد فى الزبور المأثور عن داوود مختلقا كثيرا وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه . الى أن قال : « أما النصارى فأناجيلهم الأربعة أشد اختلافا وأكثر زيادة ونقصا وأفحش تفاوتا من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة فى غير ما شىء قد شرعوا لأنفسهم » .

* * *

● **التوراة والانجيل بين الرفض والقبول :**

ان رفض الاستشهاد بما جاء فى التوراة والانجيل من أخبار الأنبياء وأسمائهم بحجة دخول التحريف والتبديل فيهما لا تفيد الدعوة الاسلامية خيرا ولا تعود بالنفع للدعاة المسلمين لأننا لازلنا نحتج ببقاء أخبار النبى فى التوراة والانجيل اللذين بأيدى اليهود والنصارى وندعوهم بها الى الاسلام فيسلم من أراد الله به خيرا .

لهذا لا ينبغى رفض ما فى التوراة والانجيل الا ما خالف نص القرآن أو خالف العقل والحقيقة .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » [2] .

* * *

---

(1) تاريخ ابن خلدون — تعليق شكيب ارسلان — ص ٦٨
(2) المائدة : ٨

● بين اثبات النبوة ونفيها عن انســان :

ان نفى الاســلام عمن يحتمل وجود الاســلام فيه اثم كبير كما فى الحديث : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بأحدهما الكفــر » •

وأكبر من ذلك نفى النبوة عمن يحتمل أن يكون نبيا بظاهر نص القرآن •

ومن القواعد العــامة فى الاسلام ادخال ألف كافر فى الاسلام أيسر من اخراج مؤمن واحد منه •

وقاعدة أخرى تقول : اذا صدر من مسلم قول أو عمل يحتمل الكفر من مائة وجــه ويحتمل الايمان من وجه واحــد حمل على الايمان ولم يحمل على الكفر •

على أن استنباط الأحكام من القرآن ثابت على مفهوم النص ومنطوقه وعلى خفى معنى النص وجليه لذلك كله يجب الاحتراز والتحفز فى نفى النبوة عن شخص بحكم الظن •

لأن النصوص التى تحتمل الوجهين فى المعنى ليس لأحد أن يقطع الحكم بوجه دون آخر •• ان الذين نفوا النبوة عن لقمان لم يستندوا الى شىء غير زعمهم أنه عبد أسود كان صالحا مطيعا لمولاه • مع أن الله تعالى أطلق كلمة العبد على خير الرسل فى آيات منها :« **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا** » (١) •

---

(١) البقرة : ٢٣

وقوله تعالى : ((**الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب**))[1] .

وقوله تعالى : ((**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا**)) [2] .

وان كان اضافة العبد الى الله تشريفا ، فان مجرد اطلاق العبد على الرسول دليل على عدم قدح ذلك فى النبوة ، ولا أعرف ما استندوا اليه فيما قالوا . مع العلم أن اطلاق العبد على كل أسود كان شائعا فى الجاهلية حتى سرت رواسب ذلك الى ما بعد الاسلام ، ومن قبيل ذلك ما يروى عن أبى العلاء المعرى أنه قال :

رأيت آدم فى نومى فقلت له ... أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابرة نسل منك قال اذن ... حواء طالقة ان صح ما زعموا

ويقرب من ذلك نفى النبوة عن ذى القرنين لأنهم زعموا أيضا أنه كان ملكا أسود اللون فاتحا محاربا . وقد أورد ابن كثير فى « سورة الدخان » أقوالا كثيرة عن نبوة ذى القرنين وتبع وعزير فيما روى من قوله : « ما أدرى تبع نبيا كان أم غير نبى »

وفى رواية أخرى « لا أدرى ذو القرنين نبيا كان أم ملكا » وأخرى : « ما أدرى عزيرا كان نبيا أم لا » .

وعندى أن امام الأنبياء والمرسلين لا ينبغى أن يشك فى نبوة أحد من الأنبياء فيتركه الله على ذلك الشك ولا يبين له الحقيقة .

---

(١) الكهف : ١ (٢) الاسراء : ١

وعلى صحة هـذا النص أو ضعفه فانما يدل على احتمال كون هؤلاء الثلاثة أنبياء ، ولقد صرح القرآن بنبوة بعض الأنبياء وذكرهم فى تلك حجتنا وذكر الآخرين منهم فى آيات متفرقة تصريحا أو تلويحا فلا خلاف فيمن ذكرهم تصريحا •

انما الخلاف فيمن ذكرهم القرآن تلويحا فيقبلهم البعض من العلماء ويرفضهم البعض على حكم الظن لئلا يدخل فى الأنبياء من ليس فيهم من باب العقيدة • فلا جناح على من يذكرهم فى الأنبياء من باب التاريخ •

يقول القاضى عياض فى كتاب « الشفاء » : « فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة والأنبياء كهاروت وماروت فى الملائكة والخضر ولقمان وذى القرنين ومريم وآسـية وخالد بن سـنان المذكور أنه نبى أهل الرس وزرادشت الذى تدعى المجـوس والمؤرخـون نبـوته فليس الحكم فى سبابهم والكفر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المنقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته •

وأما انكار نبوتهم أو كون الآخرين من الملائكة فان كان المتكلم فى ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء فى ذلك ، وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض فى مثل هذا وان عاد

أدب اذ ليس لهم الكلام فى مثل هذا ، وقد كره السلف [الخوض] فى مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة » (١) •

* * *

● **مدخل البحث •• فى أبواب مسائل علم التوحيد :**

لقد ثبت أن مسائل علم التوحيد تنحصر فى ثلاث وهى كما يلى :

المسألة الأولى الالهيات : وهى ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وما يجب عليه وما يستحيل وما يجوز •

المسألة الثانية النبويات : وهى ما يتعلق بالنبوة والأنبياء وبالرسالة والمرسلين فيما يجب عليهم وما يستحيل وما يجوزه •

وتانك المسألتان اللتان اتفق الجميع على التزام العقل والنقل فيهما على اختلاف بينهم فى تقديم النقل أو العقل وفى التزام النقل وعدمه •

والمسألة الثالثة والأخيرة هى السمعيات التى تتعلق بالغيبيات كالملائكة والجن والبعث بعد الموت والثواب بالجنة والعقاب بالنار •

فليس للعقل فيها مجال عند جميع أهل الاسلام •

أما المسألتان السابقتان المتعلقتان بالعقل فهما مجال

---

(١) الشفاء : للقاضى عياض ج ٢ ص ٣٠٣

البحث والاجتهاد على الدوام ، وكل مسألة اجتهادية يجوز فيها الخطأ والصواب .

ويجوز للمتأخر أن يستدرك ما فات المتقدم فى كل عصر وفى كل مكان .

لقد تبين لى أن المتقدمين بحثوا فى النبويات واجتهدوا ولكنهم اقتصروا فى بحثهم على المرسلين المذكورين فى القرآن ولم يبحثوا فى الأنبياء غير المرسلين ، ولعلهم اقتصروا على ذلك لأن النصوص الداعية الى الايمان بالأنبياء اقتصرت غالبا على الرسل فقط دون الأنبياء كما فى قوله تعالى : ((**كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**))[1] .

وقوله تعالى : ((**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا**)) [2] .

وفى الحديث : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » (متفق عليه) .

فالنظر والاجتهاد فى احصاء من ورد ذكرهم فى ظاهر نصـوص القرآن كأنبياء دون الاحتيـاج الى التأويل الذى لا داعى له يعتبر مكملا لتاريخ النبـوة والأنبياء على سبيل التاريخ لا على سبيل الاعتقاد . وليس فيه مضرة على الايمان ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير فى الاسـلام .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ (٢) النساء : ١٣٦ .

ويروى أحمد رزوق فى قواعد التصوف كلاما عن الامام مالك رضى الله عنه : « اذا كانت العلوم منحاً الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين » •

* * *

● **قيام علم التوحيد على الحكم العقلى :**

ان قيام علم التوحيد كان على الحكم العقلى المستند الى نص شرعى اذ قد وضعت العلوم الاســـلامية فيما بين القرنين الثانى والثالث الهجرى وكلها علوم مستنبطة بالنظر العقلى من نصوص القرآن والحديث ، وذلك فى العصر العباسى عصر تدوين العلوم الاسلامية وهى علوم مستحدثة كانت قد تكمنت فى القرآن والحديث تكمن العصف والعود والقشر فى حبة الذرة والشعير يظهر كل ذلك بعد الزرع والنمو والتعهد •

لذلك صار كل علم يظهر واحدا بعد واحد ، وكانت كل قاعدة من قواعد كل علم تلتقط وتلفق من شتات الآراء والأفكار حتى اذا اكتملت هــذه القواعد سميت علما قائما بنفسه كالنحــو والصرف والبلاغة والتفسير والتوحيد وهلم جرا •

وكان كل علم يبدأ صغيرا من واضعه ثم يكبر على أيدى الذين يتعهدونه جيلا بعد جيل ينقحونه ويزيدون عليه •

وضع الامام على كرم الله وجهه مبادىء علم النحو حيث أملاها على أبى الأسود الدؤلى •

ووضع واصل بن عطاء علم الكلام بالتعاون مع عمرو بن عبيد •

ووضع الامام أبو حنيفة أصول العقائد والتوحيد فى كتابه الفقه الأكبر •

ووضع أبو الحسن الأشعرى ــ الذى هو أحد تلاميذ على الجبائى أحد علماء الكلام ــ وضع علم أصول الدين الذى صار يدعى « بالتوحيد » •

فلا يخلو علم من العلوم الاسلامية أبدا من الاستنباط العقلى ، فأحرى علم أصول الدين أو علم التوحيد أو علم العقيدة الذى هو قائم محضا على الأحكام العقلية ــ وان كانت تستند على النصوص ــ لذلك كانوا يقولون فى قواعدها العامة :

الواجب ما لا يتصور فى العقل عدمه •

والمستحيل ما لا يتصور فى العقل وجوده •

والجائز ما يحتمل فى العقل وجوده وعدمه •

اتفق واضعو علم التوحيد أو أصول الدين على ضرورة الاعتماد على العقل والنقل فى مباحث هذا العلم •

وتلاميذ واصل بن عطاء فى علم الكلام يقدمون العقل ويؤولون النقل لمطابقة العقل •

وتلاميذ الأشعرى يقدمون النقل على العقل •

أما الحنابلة فهم يلتزمون النقل فقط فى اثبات ما أثبتــه الله لنفسه ونفى ما نفاه عن نفسه من غير التزام العقل كمصدر ، ومع ذلك لا يمنعون تأييد النقل بالعقل •

* * *

● أطوار التوحيد بين الاجتهاد والتقليد :

جاء الاسلام يدعو الناس الى توحيد الله وعبادته والايمان بســائر رسل الله الذين سبقوا تحت الايمان بخاتم الرسل ســيدنا محمد ﷺ •

واقتصر المسلمون الأولون فى عقائدهم الدينية على ظواهر النصوص الواردة فى ذلك ولم يبحث أحدهم فى الدليل على ذلك ولم يسأل أحدهم رســول الله عن شىء من صفات الله كما كانوا يسألونه عن أمور دينهم فى العبــادات والأحكام والمعاملات •

ولم يكن أحدهم يستدل على اثبات نبوة محمد بشىء سوى القرآن • ثم سار الأمر على هــذا فى عصر الصحابة الى أن جاء عصر التابعين •

يقول الأستاذ أحمــد أمين فى كتابه « ضحى الاسلام » :

« فقد كاد ينقضى العصر الاســلامى الأول فى ايمان لا يعتوره كثير من الجــدل فلما هدأ النــاس أخذوا ينظرون

ويبحثون ويتوسعون فى النظر والبحث ويجمعون بين الأشباه والنظائر ويستخرجون وجوه الفروق والموافقات »[1] •

هكذا بدأ الجدل فى القدر والعـــدل وظهر الاعتزال فى أول عصر التابعين فنشأ علم الكلام وألف فيه واصل بن عطاء فراج مذهبه وكثر أنصاره وعرفوا بالمعتزلة أو المتكلمين ، ثم ظهر مذهب أهل الســـنة وعرفوا بالمثبتة لأنهم أثبتوا ما نفاه المعتزلة من الصفات ، فكان الامام أبو حنيفة أول من ألف فى ذلك كتابه «الفقه الأكبر» فصار أهل السنة يتمسكون بهذا المذهب ثم جاء أبو الحسن الأشعرى الذى كان معتزليا فى أول أمره أربعين سنة ولمـــا هداه الله الى الصواب ناصر السنة بمثل البراهين الذى كان يعتمد عليها المعتزلة وألف التصانيف العديدة وكثرت أتباعه فصاروا ينتسبون اليه •

سار الناس بعد ذلك على منهج الأشـــعرى حتى جاء أبو بكر الباقلانى وأيد متابعة الأشعرى الا فى مسائل فرعية يسيرة خالفه فيها •

ولمـــا جاء الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ وخالف الأشعرى فى بعض المسائل الأصلية حمل عليه أنصار الأشعرى وأنكروا عليه حتى رموه بالكفر والزندقة فألف الغزالى للرد عليهم كتابه «فيصل التفرقة» وقال فيه ما نصه بتصرف : « انى رأيتك أيها الأخ

---

(١) ضحى الاسلام : للأستاذ احمد أمين ، جـ ٣ ص ٣ •

المشفق منقسم الفكر لمــا قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة من أسرار معاملات الدين وزعمهم أن فيها ما يخالفة مذهب الأصحاب المتقدمين والمشائخ المتكلمين وأن العدول عن مذهب الأشعرى ولو قيد شبر كفر ومباينته ولو فى شىء نزر ضلال وخسر ••••••

فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعرى أو مذهب المعتزلى أو مذهب الحنبلى أو غيرهم فاعلم أنه غر بليد قد قيده التقليد فهو أعمى من العميان ولعــل صاحبك يميل من بين ســائر المذاهب الى الأشــعرى ويزعم أن مخالفته فى كل ورد وصــدر كفر من الكفر الجلى •

فاسأله من أين ثبت له أن يكون الحق وقفا عليــه حتى قضى بكفر الباقلانى اذ خالف الأشعرى فى صفة البقاء لله وزعم أنه ليس وصفا لله تعالى زائد على الذات ، ولم صار الباقلانى أولى بالكفر من الأشعرى بمخالفة الباقلانى ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثانى ؟ أكان ذلك لأجل السبق فى الزمان فقد سبق الأشعرى غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه •••• الكفر هو تكذيب الرســول فى شىء ما جاء به والايمان تصديقه فى جميع ما جاء به » •

فكان الغزالى بهذا الأسلوب أول من خالف الأشعرى من

أهل السنة وخلع عن نفســـه ربقة التقليد وحاول فتح باب الاجتهاد فى مسائل التوحيد •

ثم جاء ابن تيمية فى القرن الثامن وخالف جميع من سبقوه من المعتزلة والأشاعرة وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه فى التوحيد الذى هو أصـــول الدين وفى فروع الفقه فكان له جهاد طويل مع المقلدين فى التوحيد من ناحية العقيدة كما كان له جهاد طويل مع المقلدين فى الفقه من ناحية الشريعة •

ومن كلامه فى العقيـــدة كما جاء فى كتـــاب « المذاهب الاسلامية » : « أن العقائد لا تؤخذ الا من النصوص ولا تؤخذ أدلتها الا من النصوص وأنه لا سبيل الى معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها اجمالا وتفصيلا اعتقادا واستدلالا ، الا من القرآن والسنة فما يقرره القرآن وما تشرحه السنة مقبول لا يصح رده فليس للعقل سلطان فى تأويل القرآن وتفسيره الا بالقدر الذى تؤدى اليه العبارات ، فالعقل يكون شـــاهدا ولا يكون حاكمـــا ويكون مقـــررا مؤيدا ولا يكون ناقضـــا ولا رافضا » (١)

قلت : فلا جرم اذن أن يأتى من بعد ابن تيمية من يجتهد فى أصول الدين اجتهادا يعتمد على نصوص كما جاء محمد بن عبد الوهاب المتوفى ١٢٠٦ هـ وسار على منهج ابن تيمية ونحى

---

(١) المذاهب الاسلامية : للشيخ محمد ابو زهرة ص ٣١٥

فى التوحيد منحى جديدا ونبه الناس على أنهم أفاضوا فى التوحيد الاعتقادى وغفلوا عن التوحيد العملى حتى فهم عامة الناس أنه يكفى فى التوحيد مجرد الاعتقاد بأن الله واحد وفاتهم أن مشركى العرب كانوا موحدين توحيدا اعتقاديا ولم ينقذهم من الشرك •

وأفاض فى معانى العبادة وأنواعها وجعل الدعاء عبادة وجعل الذبح لغير الله والاستغاثة بالأموات شركا • واستند فى ذلك كله الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة •

ووافق ابن عبـــد الوهاب الشوكانى والأمير الصنعانى وغيرهما من المعاصرين له كما سبقت الموافقة بين الأشـــعرى والمـــاتريدى •

وقد قسم محمد بن عبد الوهاب والأمير الصنعانى والشيخ الأسفرائينى التوحيد الى ثلاثة أقسام ولم يعرف هــذا التقسيم عنـــد المتقدمين •

الأول ــ توحيد الربوبية : هو الاعتقاد بأن الله وحـــده هو ربنا ولا رب لنا سواه •

الثانى ــ توحيد الألوهية: هو الاعتقاد بأن الله وحـــده هو المعبود ولا معبود سواه ، والاشراك فى الأول اشراك فى الربوبية والاشراك فى الثانى اشراك فى الألوهية •

والثالث ــ توحيد الصفات : وهو أن يوصف الله بمـــا وصف به نفســـه •

وبالجملة فقد أحدث ابن تيمية وتلاميذه تغييرا كبيرا فى منهج التوحيد وأرجعوا كل عقيدة الى دليل منصوص ومنقول وأبطلوا كل ما ليس له دليل منقول •

غير أنهم قـــد اقتصروا فى اجتهـــاداتهم وبحوثهم على الالهيات فقط وقلدوا المتقدمين فى النبويات ولو أنهم أضافوا الى اجتهادهم فى الالهيات اجتهادا آخر فى النبويات لوجدوا مجالا واســـعا لاستدراك ما أهمله المتقدمون من البحث فى الأنبياء المذكورين فى القرآن •

ولا يخفى أن المتقدمين اقتصروا فى النبويات على المرسلين فقط دون الأنبياء ولم يتوسعوا فى البحوث عنهم •

وكان الأكمل أن يبحثوا عن النبوة والأنبياء ثم عن الرسالة والمرسلين بعـــد أن حققوا الفرق بين النبوة والرســـالة وبين النبى والرســـول كما ثبت فى نص الحديث الذى ورد فى عدد الأنبياء على حدة وعدد المرسلين على حدة •

ولمـــا كان باب الاجتهاد فى التوحيد والفقه مفتوحا حتى الآن كما سبق ، لم أر على نفسى بأسا فى اخراج هذا البحث من غير أن أدعو أحدا الى الالتزام به كعقيدة لازمة بل كبحث تاريخى فى سبيل الايجاب البناء لا فى سبيل السلب الهدام •

وحين فرض الله علينا الايمان بسائر الرسل الذين سبقوا لايدعونا بذلك الى العمل بشريعتهم غير ما شرعه لنا ولكن لتعميم الايمان برسل الله وكذلك الأنبياء •

جاء أبو محمد بن حزم الأندلسى وهو من المتأخرين وأبطل الرأى والقياس والاستحسان وتعليل الأحكام بعـد أن أثبتها المتقدمون كأبى حنيفة ومالك والشافعى ، فجاء ابن حزم وأبطلها ومنع النصوص الواردة فيها وقال :

« ان القياس حدث فى القرن الثانى الهجرى والاستحسان فى القرن الثالث وتعليل الأحكام فى القرن الرابع الهجرى » .

لذلك ردها وأبطلها هو فى القرن الخامس غير أنه أباح الرأى على وجـه الاحتياط لا على وجـه التشريع .

وعلى هـذه القاعدة نظرت فى هـذا البحث على وجـه الاحتياط لا على وجـه الاعتقاد وعلى وجـه البحث البنـاء لا على وجـه البحث الهدام .

ومما حفزنى الى هـذا البحث مع كونه شائكا ذلقا ـ الا بعناية الله وتوفيقه ـ أننى كنت أجـد دائما فى نفسى الأنس والقرب من الله تعـالى كلما أرسلت نفسى على سجيتها فى البحث عن صلة الله تعـالى بأنبيائه ورسـله كما أجد ذلك عند الاستغراق فى تلاوة كتابه العزيز .

فرجوت أن أتقرب الى الله باستقصاء من يظن أنهم أنبياء الله على ضوء مخاطبته لهم ووحيه اليهم .

* * *

الفصل الأول

فلسفة النبوة في حدودها وأبعادها

- تجرد النبــوة الاســلامية من ملابساتها الأولى ٠
- البحث عن النبــوة وحدودها وابعادها عند مفكرى الاسلام ٠
- النبــوة عند الامام الغزالى ٠
- فلسفة النبــوة عند ابن حزم الاندلسى ٠
- فلسفة النبوة عند ابن خلدون ٠
- فلسفة النبوة عنــد الامام محمــد عبده ٠
- محاولات التنبؤ ٠

فلسفة النبوة فى حدودها وأبعادها

النبوة مصدر نبأ ينبو نبوة ونباوة بمعنى ارتفع وعلا وسما ، والنبوة رفع الصوت لقول الشنفرى :

وما هى الا نبوة ثم هومت وقلنا قطاة ريع أم ريع أجدل

أو هى مصدر نبأ ينبأ نبأ بمعنى خرج من أرض الى أرض • ومنه النبأ بالفتحتين بمعنى الخبر لأنه يأتى من مكان الى مكان كما يأتى الوحى من الله تعالى الى النبى •

فالاسم منه « النبى » بمعنى رفيع القدر والمكانة وهو الذى يتحمل الخبر من الله الى الناس •

قال الراغب فى المفردات : روى عن النبى ﷺ أنه قال لمن كلمة يانبىء الله — بالهمزة — فقال : « لست بنبىء الله ولكن نبى الله » بغير الهمزة •

ثم قال الراغب : « ومن العلماء من جعله أصلها بالهمزة ثم أبدلها ياء » •

لذلك صارت الكلمة تحتمل معنيين : الرفعة والاخبار •

يقول الشيخ محمد رشيد رضا فى كتابه «الوحى المحمدى»: « النبىء فى اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد

لمـاله شأن مهم ، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول لأنه منبىء عن الله ومنبأ منه .

والنبى بالتشديد أكثر استعمالاً أبدلت الهمزة ياء .

أو هو من النبوة وهى الرفعة والشرف .

ويطلق عند أهل الكتاب على الملهم الذى يخبر بشىء من أمور الغيب المستقبلة .

وقيل ان معنى أصل مادته فى العبرانية القديمة : المتكلم بصوت جهورى مطلقا أو فى الأمور التشريعية ، وهو عندنا من أوحى الله اليه وحيا فان أمره بتبليغه كان رسـولا ، فكل رسـول نبى وما كل نبى رسـول » [1] وسيأتى الكلام على النبى والرسـول مفصلا فى محله .

ثم ذكر السيد رشيد رضا ما جاء من تفسير النبوة فى قاموس الكتاب المقدس ما نصه :

« النبوة لفظة تفيـد معنى الاخبار عن الله وعن الأمور الدينية ولا سيما عما يحدث فيما بعد » .

ثم علق على ما ورد فى تعريف النبوة عند أهل الكتاب بقوله : « ان أكثر أنبياء بنى اسرائيل كانوا يتخرجون فى مدارس خاصـة بهم يتعلمون فيها تفسير شريعتهم التوراة والموسـيقى والشـعر وانهم كانوا شـعراء ومغنين وعزافين على آلات

(١) الوحى المحمدى : للشيخ محمد رشيد رضا ، ص ٤٣ .

الطرب وبارعين فى كل ما يؤثر فى الأنفس ويحرك الشعور والوجدان ، ويثير رواكد الخيال » انتهى كلامه .

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » : « ان كلمة النبوة لم تكن معروفة لدى العبرانيين قبل اتصالهم بالعرب فى أرض مدين وأرض كنعان فكانوا يسمون النبى بالرائى أو الناظر أو رجل الله ولم يطلقوا عليه اسم النبى الا بعد معرفتهم بأريحة من أنبياء العرب المذكورين فى التوراة » (١) .

قال الأستاذ العقاد : « ان أصحاب المقارنة بين الأديان عرفوا أنواعا كثيرة من النبوات منها نبوة السحر ، ونبوة الرؤيا والأحلام ونبوة الكهانة ونبوة الجذب أو الجنون المقدس ونبوة التنجيم ، ولم يعرفوا الفرق بين النبوة الصحيحة والفاسدة حتى جاء الاسلام مصححا لكل ما التبس بالنبوات الصحيحة من ملابسات » .

قلت : فرق الاسلام بين النبوة الالهية وبين ملابساتها من الكهانة والعرافة والقيافة والفراسة وغير ذلك من النبوات المعروفة فى الأديان السابقة .

---

(١) حقائق الاسلام واباطيل خصومه : للأستاذ عباس محمود العقاد ، ص ٦٣

فان النبـــوة الصحيحة لا تلتبس بالبـــحر « ولا يفلح الســاحر حيث أتى » [1] .

ولا تلتبس بالشـعر « وما هـو بقول شـاعر ، قليلا ما تؤمنون » [2] .

ولا تلتبس بالجنـون المقـدس « ما أنت بنعمـة ربك بمجنـون » [3] .

ولا تلتبس بالكهانة والتكهن « ولا بقـول كاهن ، قليـلا ما تذكرون » [4] .

ولا تلتبس بمعرفة الغيب « فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين » [5] ، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » [6] ، « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون » [7] .

* * *

● تجرد النبوة الاسلامية من ملابساتها الأولى :

لقد استعانت النبوة فى أول ظهورها بما يقرب فهم معناها للناس من اكتشاف الغيب ومن تعبير الأحلام ومما يؤثر على

---

(1) طـــه : ٦٩
(2) الحاقة : ٤١
(3) القلم : ٢
(4) الحاقة : ٤٢
(5) يونس : ٢٠
(6) الأنعام : ٥٩
(7) الأنعام ٥٠

النفس ويستولى على الذهن والعقل قبل أن نتجرد من تلك الملابسات عنـــد نضوج العقل البشرى •

لهذا قال الأستاذ عباس محمــود العقاد فى « حقائق الاســـــلام وأباطيل خصومه » : « الواقع أن النبوة الاسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة كما كانت عقيدة الاســـلام الالهية مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بنى الانسان فى الاله » [1] •

قلت : قد استعانت النبوة بخط الرمل والتنجيم على عهد النبى المصرى ادريس الذى يسمونه «هرمس»،وفى التاريخ أنه أول من وضع أسماء البروج على حسب ترتيبها فى الأفلاك[2] •

وأنه كان يخط فى الرمل للكشف عن معرفة المستقبل ، وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « كان نبى من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك »[3] •

وكذلك استعانت النبوة بالتنجيم وتعبير الرؤيا على عهد يعقوب وبنيه لقوله تعالى : **« اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحـــد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين»**[4]

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : للأستاذ عباس محمود العقاد ، ص ٦١

(٢) الملل والنحل : للشهرستانى جـ ٢ ص ٢٠٢ •

(٤) انظر شرح الحديث فى مقدمة ابن خلدون ص ٩٥

(٣) يوسف : ٤

وجاء تعبير يعقوب باثبات العلاقة بين أبنائه والبروج الاثنى عشر فى السـماء وبين الشمس والقمر وبين يعقوب وزوجته كما جاء تعبيره بقوله تعـالى : « **وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث** »[1] •

ولم تظهر نبوة يوسف الا عن طريق تعبير الرؤيا لصاحبيه فى السجن وتعبير رؤيا الملك فى سبع بقرات وسبع سنبلات •

فهذا التعبير الذى كان من علامات النبوة ليعقوب ويوسف فقد أوتى سيدنا محمد ﷺ علم التعبير الكامل وأخذ بأثارته الصحابة والتابعون والفقهاء فوضعوا له القواعد التأويلية من الاشتقاق والأضداد وغيرها ، فلم يعد تعبير الرؤيا علامة من علامات النبوة ولم يعد معجزة من معجزات الأنبياء •

وكانت النبوة تستعين بالشعر والغناء للتأثير النفسى على الناس كما كان فى عهد النبى داوود الذى وصفه بنو اسرائيـل بأنه امام المغنين لأنه رزق النغمة الطيبة والترجيع بالألحـان المطربة ، ويؤيد ذلك ما قاله النبى ﷺ لأبى موسى الأشعرى : « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود » (رواه الشيخان) •

وكانت النبوة تعتمد على المعجزات الحسية من نوع ما يتفق وعصر كل نبى كما كانت من عهد النبى صالح حتى عهد النبى موسى وعيسى وما بينهم من النبيين •

فجاءت نبوة محمد متنزهة عن ادعاء معرفة الغيب قال تعالى:

---

(1) يوسف : ٦

« **قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء** »[1] .

وقال تعالى : «**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو**»[2] .

وكذلك جاءت نبوته مترفعة عن الشعر لقول القرآن عنه «**وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين**»[3]

وقوله تعالى : « **وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون** »[4]

وكذلك جاءت نبوته مستقلة عن المعجزات المادية الحسية معتمدة على المعجزة العقلية الكبرى التى تحدى العرب بها وهو القرآن القائل : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** »[5] .

ومثله ما رواه الشيخان أن النبى ﷺ قال : « ما من الأنبياء الا قد أوتى ما على مثله آمن البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الى وانى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة » .

لا ينكر هذا الحديث وجود معجزات أخرى غير القرآن لنبينا محمد ﷺ ، ولكنه يثبت القرآن كمعجزته الكبرى الدائمة الباقية ما بقي الدهر .

* * *

(1) الأعراف : ١٨٨
(2) الأنعام : ٥٩
(3) يس : ٦٩
(4) الحاقة : ٤١
(5) الاسراء : ٨٨

● البحث عن النبوة فى حدودها وأبعادها عند مفكرى الاسلام :

لقد أوجز الأستاذ محمد لطفـــى جمعة فى كتاب « فلاسفة الاسلام »[1] جميع ما قاله الفارابى وابن سينا وغيرهما فى معانى النبوة وقال ما نصه بتصرف :

« النبوة عند الفلاسفة ولا فرق بينها عندهم وبين الالهام»

النبوة هى اتصال النفس الانســانية الناطقة بالنفوس الفلكية اتصالا معنويا يجعلها تشرف على ما فيها من صور الحوادث فترتسم فى النفس البشرية من تلك الصور ما يستعد لارتسامه فيها كمرآة يحاذى بها مرآة أخرى فيها نقوش فينعكس منهــا الى الأولى ما يقابلها •

وليس عندهم فرق بين الوحى والالهام الا أن الأول يكون للنبى ويكون الثانى للعارف أو الولى وللنبوة استعداد ذاتى ففى القوى النفسانية لمن له النبوة خصائص ثلاث :

١ ــ أن تصفو نفسه صفاء شــديدا وتقوى قوة لا تشغلها الحواس عن النظر الى عالم العقل فتستعد استعدادا خاصا للاتصال بالعقول المفارقة بأدنى توجه ويفيض عليها من علم الغيب ما لا يدرك بالفكر والقياس •

---

(١) فلاسفة الاسلام : للأستاذ محمد لطفى جمعه ص ٤٢ وما بعــدها .

٢ ـ أن يكون فى جوهر نفسه قوة تؤثر فى هيولى العالم بازالة صـــورة وايجاد صورة وذلك أن الهيولى منقادة لتأثير النفوس المفارقة مطيعة لقواها السارية فى العالم وقد تبلغ نفس انســانية في الشرف حــدا يناسب تلك النفوس فتفعل فعلها وتقوى على ما قويت عليـــه •

٣ ـ أن يرى الملائكة مصورة بصورة محسوسة ويسمع كلامهم وحيا من الله وذلك بقوة نفسه واتصالها بعالم الغيب فى اليقظة وقوة المتخيلة ومحاكاتها ما أدركته النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة فى غاية الحسن ، وهو الملك الذى يراه النبى وتكون المعارف التى تتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع فى الحس المشـــترك فيكون مسموعاً •

يكون كل ذلك باســتعداد ذاتى فى نفس النبى ويحصل للولى بالرياضة والمجاهدة » •

٭ ٭ ٭

● النبوة عند الامام الغزالى وهو متأثر شيئا ما بآراء الفلاسفة :

ان جوهر الانســـان فى أصل الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى ، كما قال تعالى : « **وما يعلم جنود ربك الا هو** »(١)

---

(٢) المدثر : ٣١

وانما خبره في العالم بواسطة الادراك وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات .

ونعنى بالعوالم أجناس الموجودات فأول ما يخلق فى الانسان حاسة اللمس ، فيدرك بها أجناسا من الموجودات ، كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها ، واللمس قاصر عن الالوان والأصوات قطعا بل هى كالمعدوم فى حق اللمس .

ثم تخلق له حاسة البصر فيدرك بها الألوان والأشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم ينفسخ فيه السمع فيسمع الأصوات والنغمات .

ثم يخلق له الذوق ، وكذلك الى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز ، وهو قريب من سبع سنين ، وهو طور آخر من أطوار وجوده ، فيدرك فيه أمورا زائدة على عالم المحسوسات ، لا يوجد منها شىء فى عالم الحس .

ثم يترقى الى طور آخر ، فيخلق له العقل فيدرك الواجبات، والجائزات والمستحيلات ، وأمورا لا توجد فى الأطوار التى قبله .

ووراء العقل طور آخر ، تتفتح فيه عين أخرى ، يبصر بها الغيب وما سيكون فى المستقبل ، وأمورا أخر ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات ، وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز .

وكما أن المميز لو عرضت عليه مـدركات العقـل لأباها واستبعدها،فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة،واستبعدوها وذلك عين الجهل اذ لا مستند لهم الا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد فى حقه فيظن أنه غير موجود فى نفسه . والأكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال ، وحكى له ذلك ابتداء ، لم يفهمها ولم يقربها .

وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه ، بأن أعطاهم أنموذجا من خاصية النبوة ، وهو النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب ، اما صريحا واما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير ، وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه ـ قيل له : ان من الناس من يسقط مغشيا عليـه ، كالميت ويزول عنه احساسه وسـمعه وبصره ، فيدرك الغيب ـ لأنكره ، وأقام البرهان على استحالته .

وقال : « القوى الحساسة أسباب الادراك ، فمن لا يدرك الأشـياء مع وجودها وحضورها فأن لا يدركها مع ركودها ، أولى وأحق .

وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشـاهدة ، فكما أن العقل طور من أطوار الآدمى يحصل فيه عين يبصر بها أنواعا من المعقولات ، والحواس معزولة عنها ،

فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور ، يظهر فى نورها الغيب وأمورها لا يدركها العقل والشك فى النبوة اما أن يقع فى امكانها أو فى وجودها ووقوعها أو فى حصولها لشخص معين ودليل امكانها وجودها .

ودليل وجودها وجود معارف فى العالم لا يتصـــور أن تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم ، فان من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرج الا بالهام الهى ، وتوفيق من جهة الله تعالى ولا ســبيل اليها بالتجربة •

فمن الأحكام النجومية ما لا يقع الا فى كل ألف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة ؛ وكذلك خواص الأدوية •

فتبين بهــذا البرهان أن فى الامكان وجود طريق لادراك هــذه الأمور التى لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة ؛ لا أن النبوة عبارة عنها فقط ، بل ادراك هــذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولهــا خواص كثيــرة سواها وما ذكرنا فقطرة من بحرها انما ذكرناها لأن معك أنموذجا منها وهو مدركاتك فى النوم ومعك علوم من جنسها فى الطب والنجوم ، وهى معجزات الأنبياء ، ولا سبيل اليها العقلاء ببضاعة العقل أصلا » •

قلت : وهكذا نبين لــكل عالم بفن من العلوم كالنجــوم والطب والطبيعة والســحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبــوة •

* * *

● فلسفة النبوة عند ابن حزم الأندلسى :

يقول ابن حزم:« النبوة بعثة قوم قد خصهم الله بالفضيلة لا لعلة الا أنه شــاء ذلك فعلمهم الله العلم بدون تعلم ولا تنقل فى مراتبه ولا طلب له بل بوحى حققه عنده » •

ثم قـــال : « اذا صـح أن الله تعـالى ابتـدأ العـالم ولم يــكن موجــودا حتــى خلقــه الله تعــالى فبيقــين ندرى أن العلوم والصنـــاعات لا يمكــن ألبتــه أن يهتــدى اليها أحد بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل الى تجريبها كلها أبدا وكيف يجرب كل عقار فى كل علة ومتى يتهيأ هـــذا ، ولا سبيل له الا فى عشرة آلاف من السنين أو مشاهدة كل مريض فى العالم وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق .

وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها الى أفلاكها مما لا يتم الا فى عشرة آلاف من السنين ولابد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التى قلنا .

وكاللغة التى لا تصح تربيـــة ولا عيش ولا تصرف الا بها ولا سبيل الى الاتفاق عليها الا بلغة أخرى ولا بد ، فصح أنـــه لابد من مبدأ للغـــة ما .

وكالحرث والحصـــاد والدرس والطحن وآلاته والعجن والطبخ وحراسة المواشى واتخـــاذ الانســـان منها الفرس واستخراج الأدهان ودق الكتان والعنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك آلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها فى القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار

وتربية النحل ودود القز واستخراج المعادن وعمل الأبنية منها ومن الخشب والفخار ، كل هـذا لا سبيل الى الاهتداء اليـه دون تعليم فوجب بالضرورة ولابد من انسان واحد فأكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هـذا دون معلم لكن بوحى حققه عنده فهذه هى النبوة » •• انتهى كلامه •

قلت : وعندى أن ما يستدل بحقيقة الوحى فى ذلك كله قوله تعالى لأول انســان خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكون فكان آدم الذى قال فيه : « **وعلم آدم الأسماء كلها** » [1] •

معنى ذلك : علمه خواص النباتات والجمادات والحيوانات كلها ثم ورثها منه أبناؤه عن طريق التعليم أو عن طريق الالهام أو عن طريق النظر والتفكير •

وعلم الله نوح صنع السفينة لقوله تعالى : « **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** » [2] •

كما علم داوود نسج الحديد بقوله تعالى : « **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** » [3] •

كذلك علم الله عددا من الأنبياء وألهم عددا من العقــلاء أصــول المعارف والصناعات كما ألهم عــددا من الحيوانات •

ومن الدليل على اثبات ذلك؛المعارف والصناعات التى يعرفها

---

(١) البقرة : ٣١ (٢) هود : ٣٧

(٣) الأنبياء : ٨٠

الحيــوانات من الطيور والحشرات كصناعة المعشش وطلب المعيشة من الطيور واكتشاف الأرضة المياه وبناء الحجر الأرضة والنمل وامتصاص النحل الندى العذب من الأزهار ، وكيف اهتــدى اليه الأرضة والنمل والنحل اذا لم يكن من الوحى ؟ قال تعالى : ((**وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبــال بيوتا ومن الشــجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون**))[1] •

وسيأتى تتمة الأمر فى البحث عن الوحى •

* * *

● فلسفة النبوة عند ابن خلدون :

يتأثر ابن خلدون بمذهب الفلاسفة والصوفية فى البحث عن النبوة بقوله :

ان العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة عجيبــة من الترتيب وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض ، فعالم العناصر متدرج من الأرض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد الى أن يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا، ويستحيل فى بعض الأوقات والصاعد منها ألطف مما قبله الى

---

(١) النحل : ٦٨ ، ٦٩

أن ينتهي الى عالم الأفلاك وهو ألطف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض •

وعالم التكوين يبتدىء من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج فآخر أفق المعارف متصل بأول أفق النبات ، وآخر أفق النبات متصل بأول أفق الحيوان ، ومعنى الاتصال فى هذه الكائنات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب أن يصير أول الأفق الذى بعده • واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهت فى التدريج الى الانسان صاحب الفكر والروية •

ثم انا نجد فى العوالم على اختلافهما آثارا متنوعة تشهد كلها بأن لها مؤثرا مباينا للأجسام فهو روحانى ويتصل بالكائنات لوجوب اتصاله بهذه العوالم فى وجودها ، وذلك هو النفس المدركة المحركة ولابد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها أيضا ويكون بذاته ادراكا صرفا وتعقلا محضا ، وهو عالم الملائكة •

فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الأوقات فى لمحة من اللمحات ، وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل • وهؤلاء هم الأنبياء فطروا على الانسلاخ من البشرية وجسمانيتها الى الملائكة من الأفق الأعلى ، ليصيروا فى لمحة من اللمحات ملائكة بالفعل ، ويحصل لهم شهود

الملأ الأعلى فى أفقهم وسماع الكلام النفسانى والخطاب الالهى فى تلك اللمحة •

فاذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا فى ذلك الملأ الأعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا فى قواها لحكمة التبليغ للعباد ، فتارة يسمع النبى دويا كأنه رمز من الكلام وتارة يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويعى ما يقوله •

والتلقى من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما ألقى عليه كأنه فى لحظة واحدة ، بل أقرب من لمح البصر ، لأنه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعا ، فيظهر كأنها سريعة ، ولذلك سميت وحيا لأن الوحى فى اللغة الاسراع •

* * *

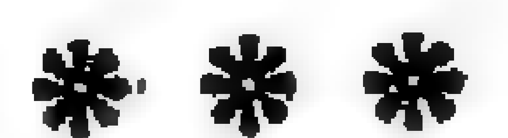
• فلسفة النبوة عند الامام محمد عبده •• كما فى رسالة التوحيد :

« مما تشهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعض ، وأن الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى الا على وجه من الاجمال ، وأن من أرباب الهمم وكبار النفس ما يرى البعيد عن صغارها قريبا فيسعى اليه ثم يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ، ويعجبون لنهايته ثم يألفون ما صار اليه كأنه من المعروف الذى لا ينازع ، والظاهر الذى لا يجاحد فاذا أنكره منكر ثاروا عليه • ثورتهم فى بادىء الأمر على من دعاهم اليه

ولا يزال هـــذا الصنف من الناس على قلته ظاهرا فى كل أمة الى اليـــوم •

فاذا سلم ـــ ولا محيص عن التسليم ـــ ما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصـــول اليها ، أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الالهى لأن تتصل بالأفق الأعلى وتنتهى من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله العيان ما لم يصل غيرهـــا الى تعلقه أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان ، وتتلقى عن العليم الحكيـــم ، ما يعلو وضوحـــا على ما يتلقـــاه أحدنا عن أســـاتذة التعاليم •

ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ما علمت ودعوة النـــاس الى ما حملت على ابلاغه اليهم وأن يكون ذلك سنة الله فى كل أمة ، وفى كل زمان ، على حسب الحاجة ، يظهر برحمته من يختصه بعنايته ، ليفى للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحته ، الى أن يبلغ النوع الانسانى أشده وتكون الاعلام التى نصبها لهدايته الى ســـعادته كافية فى ارشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبـــوة » •



● محاولات التنبؤ :

اذا علمنا أن هناك شيئا يسمى الصدى وهو هاتف يردد الصـوت •

وثبت أن هناك طيفا أو خيالا يمثل الجسم •

أمكن لنا الفهم بأن الكهانة محاولة لتقليد النبوة اذ هى استرقاق السمع من الملأ الأعلى فى السـماء والقاءه فى أجسام الجن أو الحيوانات كالطيور والكلاب والحمر والخيل ، أو فى بعض النفوس فى اليقظة أو فى المنام •

واذا تتبعنا أخبار الكهانة فى تاريخها الطويل لم نجد أكثر من الاخبار عن بعض المغيبـات من الحـوادث الحاضرة أو المستقبلة الخاصة بالأفراد من الملوك وقادة الحروب لا تنطوى على المعارف والفضائل والمصالح والارشادات الخالدة التى تفيد البشرية كالنبوة الصحيحة التى جاءت من الله الى الأنبيـاء ، وجاءت بما يتفق مع العقل أبد الدهر من الأنظمة والشرائع التى تحسن العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول •

لذلك ركدت ريح الكهـانة التى كانت تهب وتعصف فى اليونان والرومان والصين والهند وطويت فى سـجل النسيان ، ولم تزل آثار النبوة فيها جميعا باقية خالدة مع تجدد العصور والعـلوم •

ولما سئل رسول الله ﷺ عن الكهانة أجاب بجواب كاف شاف على ما جاء فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهانة فقال: «ليس بشيء» فقالوا : يارسول الله .. انهم يحدثون بشيء فيكون حقا ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة » .

وجاء من أخبار ابن صياد الذى ظهر فى آخر أيام النبى ﷺ وكان يخبر بالمغيبات فافتتن الناس بأمره الى أن مر به النبى فى نفر من أصحابه وفيهم عمر بن الخطاب وهو يلعب مع الغلمان عند أطم بنى مغالة وهو غلام فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ، ثم قال : « أتشهد أنى رسول الله » ؟

قال فنظر اليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأميين ، ثم قال ابن صياد للنبى : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال له النبى ﷺ : « آمنت بالله ورسوله » . ثم قال له النبى : ما يأتيك ؟

قال : يأتينى صادق وكاذب، فقال له النبى: خلط عليك الأمر . ثم قال النبى ﷺ : « انى قد خبأت لك خبيئة . وخبأ له « **يوم تأتى السماء بدخان مبين** »(1) قال ابن صياد : هو الدخ فقال رسول الله : « اخسأ فلن تعدو قدرك » .

فقال عمر : يارسول الله ايذن لى فأضرب عنقه فقال : « ان يكنه فلن تسلط عليه — يعنى الدجال — وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله » .

---

(1) الدخان : ١٠ .

والكهانة : تطلق على أنواع مختلفة من محاولات التنبؤ كمخاطبة الجن وكالعرافة والعيافة والفراسة وخط الرمل والنظر في المرآة والماء وقلوب الحيوان والزجر والفأل الى نحو ذلك مما ذكره ابن خلدون . وقد جعل العرب الكهانة على أصناف :

الصنف الأول : ما يتلقونه من الجن حسبما في الحديث السابق ، وهذا الذي انقطع في عهد النبوة .

والصنف الثاني : ما يستند الى ظن وتخمين وحدس ، وهذا لا يبعد وجوده في أي وقت .

الصنف الثالث : ما يستند الى التجربة والعادة ، كمعرفة الفلاح لطبائع النباتات أو كالربان الذي يعرف علامات ما يحدث في البحر مع السحاب والرياح .

لقد حفظ لنا التاريخ كثيرا من أخبار الكهان ما تحقق وكان صادقا ، وحفظ لنا كثيرا ما أخطأ وكان كاذبا بل هذا هو الأكثر . لذلك زال سلطان الكهانة ولم تستطع أن تقوم أمام البحوث والتجارب العلمية الحديثة .

ويشرح ابن خلدون الكهانة وتوابعها بما يلي بتصرف يسير :

— « الكهانة من خواص النفس الانسانية التي هي مستعدة للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها ، واذا كان هذا الاستعداد كاملا كان نبوة ، وان كان ناقصا كان كهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولا يقوى الكاهن

على الكمال فى ادراك المعقولات لأن وحيه من الشيطان فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به •

وقد زعم بعض الناس أن هـذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجمهم للشياطين بالشهب بين يدى البعثة •

والصحيح أن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا وانما كان ذلك الانقطاع بين يدى النبـوة ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليـه لأن هـذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبـوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس •

ثم ان كل نبوة لابد لها من وضع فلكى يقتضيه وفى تمام ذلك الوضع تمام النبوة ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن » •

هـذا هو البحث عن الكهانة عند ابن خلدون وفى نظرى أنه كان موفقا فى تحقيق هـذا البحث وقد كشف النقاب وأزال الريبة عن حقيقة الكهانة ثم ذكر ما هو من قبيل الكهانة ممـا يتبعها وقال :

« أما الناظرون فى الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا أنهم أضعف رتبة فيه •

أما الزجر فهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان والفكر فيه بعد مغيبه •

وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئي أو مسموع فيستعين بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك الى ادراك ما •

أما العرافون فهم المتعلقون بهـذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الأمر الذى يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين •

ومن الناس من يحاول حصول هذه المدارك الغيبية بالرياضة وبالمجاهدة موتا صناعيا باماتة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التى تلونت بها النفس ثم تغذيها بالذكر لتزداد قوة فيحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع •

ومن المعلوم أنه اذ أنزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فأصحاب الرياضة يحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعـده وتطلع النفس على المغيبات •

ومنهم المتصوفة فرياضتهم بالجوع والذكر والاقبال على الله بالكلية يحصل لهم أذواق أهل العرفان والتوحيد من معرفة الغيب بالعرض لا بالقصد •

أما المنجمون فليسوا من أهل الغيب فى شىء انما هى ظنون وتخمينات » اهـ •

الى هنا ينتهي بحثه من قبيل الكهانة .

أما ما يقرب من النبوة من قبيل الرؤيا المنامية ، فقد أفاض فى بحثه وأصاب الحق حيث قال :

« الرؤيا من آثار النبوة الباقية »

ذكر ابن خلدون فى بيان حقيقة النبوة أن علامة الأنبياء أن توجد لهم فى حال الوحى غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنما غشى أو اغماء فى رأى العين وليست منهما فى شيء وانما هى فى الحقيقة استغراق فى لقاء الملك الروحانى .

ومن ذلك نفهم أن الاتصال بالعالم العلوى يستدعى الغيبة عن العالم السفلى فى فترة الاتصال فالنوم غيبة الحواس واجتماع القوى فى النفس الناطقة للاتصال بالعالم العلوى . وبعبارة أوضح النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد فتسكن النفس وتهدأ الروح وتقوى على الاتصال بالملأ الأعلى .

فالرؤيا مطالعة النفس الناطقة فى ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فى عالم الروح بالملأ الأعلى لذلك كانت النبوة تبدأ بالرؤيا الصادقة .

وكان الوحى مبدأ الرؤيا لسيدنا محمد لمدة ستة أشهر فكانت رؤياه صادقة ولا يرى الرؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ولذلك قال :

« الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » •

وجاء الوحي الى عـــدد من الأنبياء بالرؤيا كما في قصة ابراهيم في ذبح ولده اسماعيل •

والرؤيا آخر ما بقى من آثار النبوة (١) •

اذ قال رسول الله ﷺ : « لم يبق من النبوة الا المبشرات• قالوا : ما هي يارسول الله ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » (متفق عليـــه) •

ولا فرق في الرؤيا بين بار وفاجر وذكر وأنثى وصغير أو كبير ومؤمن وكافر •

فقد صدقت رؤيا الفراعنة والقياصرة والأكاسرة •

وانما قسموا الرؤيا الى ثلاثة :

١ ـ رؤيا من الله وهي الصحيحة الصادقة •

٢ ـ رؤيا من الشيطان وهي رؤيا التخويف والتلاعب •

٣ ـ ورؤيا حديث النفس وهي أضغاث أحلام •

* * *

---

(١) اعترضت اللجنة الليبية على تسمية الرؤيا بالنبـــوة الصـغرى فوافقناهم على ذلك فتركنا تسميتها كذلك •

الفصل الثاني



- بين الكلام والوحى .
- كيف يتلقى جبريل الوحى من الله .
- كيف يتلقى النبى كلام الله من الملائكة .
- اقسام الوحى .
- وحى الله الى البشر نبوة .
- كلمة الوحى بين الحقيقة والمجاز .
- طرق الوحى الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

بين الكلام والوحي

يقول علماء التوحيد ان الكلام يطلق على معنيين اثنين :

أحدهما لفظي : وهو ما يشتمل على حروف وأصوات يخرج من فم ولسان وشفتين •

والآخر نفسى : وهو ما يحدث به الانسان نفسه من الداخل بلا صوت ولا حرف •

وهو ينشأ من الشعور والمعرفة والارادة والهمة وادراك المعانى الكلية للحركات والسكنات المحسوسة بها من الخارج فيحدث بها النفس فى الداخل •

ومن هذا الكلام النفسى يصدر الكلام اللفظى • لذلك قال الشاعر :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ثم انه يجب تقسيم الكلام باعتبار المتكلم والمخاطب الى ثلاثة أقسام وعلى منواله ينطبق تقسيم الوحى باعتبار الموحى والموحى اليه •

أما تقسيم الكلام فكالآتى :

أولا : كلام الحيوان الأعجم كذوات الأربع والطيور والحشرات يكلم به جنسه وغيره ، ولا يفهم ارادته الا من كان من جنسه كما قال الجاحظ •

ثانيا : كلام الحيوان الفصيح وهو الانســـان يخاطب به جنســـه وغيره •

ثالثا : كلام الأجســـام النورانيـــة أو الأرواح الطيبـــة والخبيثة كالملائكة والجن تخاطب به جنسها وغيره •

أما الوحى : وهـــو كلام الله رب العالمين بطرقه الثلاث كما سيأتى :

أما الأول الذى هـــو كلام الحيوان الأعجم فهو نوعان :

كلام حرفى وكلام معنوى •

أما الحرفى :فهو لفظ بحرف أو حرفين أو ثلاثة يعبر بها الحيوان عن شعوره فى الغضب والرضا والحزن والفرح والعطف والمودة ، أو كلغة التفاهم فيما بين جنسها كأغاريد الطيور •

وقد يفهم الانســـان معنى أصـــوات الحيوان بالتجـــربة والحدس ، كما فهمنا أصوات الفرس والحمار والسنور مما يدل على لذة وألم ورحمة الأم وعطفها وتودد الذكور لاناثها كما فهمنا ارادة الصبى فى مهده بالبكاء والصراخ •

وعرفنا مخاطبة الحيوانات الأهلية عندما نريد جلبها وطردها بأصوات خاصـــة ونداءها بأسماء خاصـــة فتأتينا •

أما الكلام المعنوى فلغة التفاهم بين البهائم والدواب •

ولا شك أن لكل نوع من أنواع الحيوانات ما يتفاهم بـــه من اشارات وحركات يعبر بها عن مقاصدها لأنواعها مما يشتمل

على المعاني الكليــة كالاشارات اللاسلكية الحاضرة ولا يفهمها الانسان ، الا ما كان من فهم النبى سليمان منطق الطير ولغة النمل من الحشرات ، وسواء أكان ذلك بالاشارات والحركات أو بأصوات جلية أو خفية يفهمها على سبيل المعجزة أو الوحى أو التجربة •

واذ ثبت لدينا أن الله تعــالى « **ليس كمثله شيء** » (١) ثبت أن كلامه تعالى لا يشبه كلام الحيوان الأعجم وهو يسمع كلام الحيوان حرفيا كان أو معنويا لأنه هو السميع العليم •

الثاني : كلام الحيوان الفصيح الذى هو الانسان •

يقول الجاحظ « ان وسائل البيان للانسان على أربعــة أقســام : اللفظ والخط والعقد والاشــارة ، فاللفظ للسامع ، والاشارة للناظر ، والخط للغائب ، والعقد للناظر واللامس • ألوان الأجسام أو الأجرام السماوية ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة كما يخبر الهزال وكسف اللون عن سوء الحال وينطق السمن وحسن النضرة عن حسن الحال » •

واذا أراد الله أن يكلم انسانا كلمة بما يفهم من وسائل البيان الحقيقية ، واذا أراد الله أن يكلم السماء والأرض كلمها بما يناسبها وتجيبه تعــالى بما جبلها الله عليــه من الانقياد والطاعة كقوله تعالى : « **ثم استوى الى الســماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين** » (٢) •

---

(١) الشورى : ١١ (٢) فصلت : ١١

أما غريزة الكلام ففى الانسان وحــده •

لهــذا يقول الدكتور عبــد الواحد الوافى فى كتــاب « نشــأة اللغــة » :

« ان للانســان غريزة كلامية وان الكلمات نشأت من أصــوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات كالضحك يعبر عن الفرح ، والصراخ أو الصياح يعبر عن الخوف ، والأنين يعبر عن الألم وهلم جرا كما أن الحركات اليدوية والجسمية يستعملها الصم والبكم ، وان الاشارات بالأعضاء لتعبر لمن لا يفهم بلغــة المتكلم وكذلك الرموز التى يستعملها الصائمون عن الكلام •

وان الانسان يدرك المعانى الكلية من انسان آخر أو من الحيوان من أصوات الأفعال كصوت القطع والضرب ، أو من أصوات الطبيعة كدوى الريح وحنين الرعد ونباح الكلب وهلم جرا »[1] بتصرف •

وأول ما استعمل الانسان للتعبير عن نفسه هو ما كان يستعمله الحيوان الأعجم من الاشارات والأصوات الدالة على المعانى الكلية ، ثم استعمل اللفظ الدال على المعانى الجزئية ، ثم استعمل الخط والكتابة بالحروف والأشــكال والصور للدلالة على المعــانى أو على الألفاظ ، ثم استعمل العقــد للحساب والتعداد •

---

(١) نشـاة اللغة عند الانسان والطفل ، ص ٨ وما بعدها .

ويزيد الانســان على الحيــوان الأعجم بهذه المميزات وبالحديث النفسي •

واذا عرفنا ما هو الكلام عند الانســان ، وعرفنا أن الله تعالى « ليس كمثله شيء » عرفنا أن كلام الله تعالى ليس ككلام الانســان ، ولكن الله تعالى اذا أراد أن يكلم الانســان كلمه بما يفهم الانســان كلامه •

ولا شك أن عــدم وجود المثل لله تعالى لا ينافي وجود المثال له في الانسان الذي جعله خليفة له في الأرض يخلفه فيها ، وبمعرفة صفات الانسان نعرف صفات الله تعالى الذي له المثل الأعلى في الأرض والسماء •

ننتقل الى النوع الثالث وهو الكلام الروحاني وهو المثل الأعلى للكلام النفساني الذي هو للانسان ، فالكلام الروحاني الذي هو كلام الملائكة اذا كانوا في صورتهم الطبيعية قبل أن يتشكلوا بأشكال غيرهم فاذا تشكلوا بأشكال البشر تكلموا بكلام البشر ، واذا رجعوا الى شكلهم النوراني تكلموا بكلام الروح •

* * *

● كيف يتلقى جبريل الوحي من الله :

ذكر السيوطي في «الاتقان» ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعا : «اذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء

رجفة شــديدة من خوف الله ، فاذا ســمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا ســجدا فيكون أولهم يرفع رأســه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به الى الملائكة فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا قال الحق ، فينتهي به حيث أمر »[1] .

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه :

« اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل الســموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصــفوان فيفزعون ويرون أنــه من أمر الســاعة » .

وقال الجويني : كلام الله قسمان :

١ ــ قســم : قال اللــه لجبريل قل للنبــى الذى أنت مرسل اليــه :

ان الله يقول افعل كذا أو أمر بكذا ففهم جبريل ما قال ربه ثم نزل على ذلك النبى وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد فى الخدمة واجمع جندك للقتال .

فان قال الرسول يقول الملك لا تتهاون فى خدمتى ولا تترك الجند تتطرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب ولا تقصير فى أداء الرسالة .

٢ ــ وقسم آخر : قال الله لجبريل اقرأ على النبى هــذا الكتاب فينزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب

---

(١) الاتقان : للسيوطى : ص ٤٤

الملك كتابا ويسلمه الى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا » •

وسئل الزهرى عن الوحى فقال : الوحى ما يوحى الله الى نبى من الأنبياء فيثبته فى قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه •

* * *

● كيف يتلقى النبى كلام الله من الملائكة :

بعد أن قدمنا جميع ما يسمى كلاما وما يسمى وحيا بقى أن نبحث فى كيفية تلقى النبى الوحى ونبحث ذلك من خلال نبوة سيدنا محمد ﷺ وعلى ضوءها نستطيع أن نفهم الأمر جليا وننقل هنا كلام الزركشى فى « البرهان » كما نقله السيوطى فى « الاتقان » :

اعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل واختلفوا فى معنى الانزال فقيل معناه اظهار القرآن ؛ وقيل ان الله أفهم كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط فى المكان •

والتنزيل له طريقان أحدهما : أن رسول الله ﷺ انخلع من صورة البشرية الى صورة الملائكة وأخذه من جبريل •

والثانى : أن الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذ الرسول منــه ٠

والأول أصعب الحالين ٠

ونقل بعضهم عن السمرقندى حكاية ثلاثة أقوال فى المنزل على النبــى ﷺ ما هو أحدها أنه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به ٠

وذكر بعضهم أن أحرف القرآن فى اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف ، وأن تحت كل حرف معان لا يحيط بها الا الله عز وجل ٠ وهذا معنى قول الغزالى : « ان هــذه الأحرف ستترة لمعانيه » ٠

والثانى أنه انما نزل جبريل على النبى بالمعانى خاصة وأنه ﷺ علم تلك المعانى وعبر عنها بلغة العرب وانما تمسكوا بقوله تعالى : « **نزل به الروح الأمين ٠ على قلبك** » (١) ٠

والثالث أن جبريل ﷺ انما ألقى المعنى وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل الســماء يقرأونه بالعربية ثم انه أنزل به كذلك ٠

* * *

● أقســام الوحى :

قال الراغب : الوحى الاشارة السريعة ويتضمن السرعة قيل أمر وحى وذلك يكون بالكلام على ســبيل الرمز والتعريض

---

(١) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ ٠

وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبالاشارة ببعض الجوارح وبالكتابة •

قال فى المصباح : هو الاشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقيته الى غيرك ليعلمه وحى كيفما كان ثم غلب استعمال الوحى فيما يلقى الى الأنبياء من عند الله تعالى •

قلت : وعلى هـذا الأساس يقسم كلمة الوحى الوارد فى القرآن الى قسمين هما : الحقيقة والمجاز •

أما ما كان على سبيل الحقيقة فهو أربعة أنواع :

الأول : وحى الله الى البشر فهو بأوجهه الثلاثة عين النبوة •

الثاني : وحى الله الى الملائكة فهو اطلاق أمره عليهم •

الثالث : وحى الله الى الأجرام السماوية فهو التسخير •

الرابع : وحى الله الى الحيوان الأعجم كوحيه الى النمل وهو التعليم أو التلقين •

أما ما كان على سبيل المجاز فهو نوعان :

الأول : وحى البشر الى البشر فهو الاشارة باليد أو بالكتابة أو بالايماء •

الثانى : وحى الشياطين الى البشر وهو الوسوسة •

هـذا التقسيم هو وحده القائم على القياس والضبط الصحيح وهو التقسيم الثابت الذى يمكن اتخاذه قاعدة ثابتة

يزول بها الاضطراب والارتباك الذى وقع فيه الكثير من المتقدمين والمتأخرين فاضطروا به الى تأويل كلمة الوحى الى أم موسى والى الحواريين أنه وحى الهام غير نبوة ولم يكن لهذا التأويل حجة ولا دليل قطعى بل كان على دليل ظنى •

* * *

● وحى الله الى البشر نبوة :

أوضح القرآن أن الوحى من الله الى البشر لا يكون الا بواحد من الثلاثة المذكورة فى الآية الكريمة الآتية ، وأن كل من كلمه الله بواحد منها أو بجميعها فهو نبى لا محالة اذ ما من نبى الا كلمه الله بواحد منها ، وفيها تنحصر طرق الوحى وطرق تكليم الله لبشر والآية كما فى سورة الشورى « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم** » [1] •

يجب أن نفهم أولا ما هـــو الكلام وما الفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق •

اذ يختلف كلام الحيوان الأعجم والطيور والحشرات عن كلام الحيوان الفصيح الذى هو الانســـان •

ويختلف كلام الانســـان عن كلام الملائكة والجن الا اذا تشكلوا بشكل الانس •

---

(١) الشورى : ٥١

وكلام الله تعالى يختلف عن كلام جميع المخلوقات كاختلاف علمه وعلمهم وقدرته وقدرتهم ولا نهاية لكلامه وعلمه وقدرته « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » (١) .

ولقد بين الله لنا فى هذه الآية الكريمة أوجه تكليمه لمن يشاء من البشر المصطفين الأخيار :

الوجه الأول : الوحى وهو الالهام أو القذف فى القلب يقظة أو مناما بالرؤيا .

الوجه الثانى : سماع الكلام النفسى من وراء حجاب حيث يسمع الكلام ولا يرى المتكلم .

الوجه الثالث : رؤية الملك الذى يتكلم بالصوت والحرف أو يلقى الكلام النفسى فى القلب .

وعلى هذا جاءت الأحاديث بشرح هذه الآية بالتفصيل كما فى زاد المعاد والروض الأنف وغيرها كما سيأتى .

* * *

● كلمة الوحى بين الحقيقة والمجاز :

قال المحلى فى شرح جمع الجوامع :

« الحقيقة : لفظ مستعمل فيما وضع له ابتداء وهى لغوية بأن وضعها أهل اللغة كالأسد للحيوان المفترس ، وعرفية

---

(١) الكهف : ١٠٩

بأن وضعها أهل العرف العام كالدابة لذوات الأربع ، وشرعية دينية بأن وضعها الشارع كالصلاة للعبادة •

والمجاز : اللفظ المستعمل بوضع ثان لعلاقة بين ما وضع له أولا وما وضع له ثانيا مع قرينة مانعة عن ارادة ما وضع له أولا » اهـ •

قلت : اذا لاحظنا استعمال القرآن لكلمة الوحى وجدناه فى نيف وسبعين مرة أكثره من الله الى البشر وما كان من الله لغير البشر أو من غير الله فهو قليل •• لذلك وجب أن تكون الكلمة من الله الى البشر على الحقيقة نبوة والى غير البشر مجازا •

لأننا اذا لاحظنا استعمال القرآن كلمة الوحى لغير البشر وجدنا أنه لم يلتزم معنى واحدا فى مرات عديدة كما التزم معنى واحدا للبشر بل اختلفت المعانى باختلاف السياق والقرائن •

لذلك وجب أن تكون هـــذه االكلمة من الله تعالى لغير البشر مجازا أو مـــن البشر للبشر أو من غـــير البشر للبشر مجازا كذلك •

كما فى وحى الله الى الملائكة ((**اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**)) [1] •

---

(١) الأنفال : ١٢

دل على أن الوحى هنا مجاز لأن اصدار أمره تعالى الى الملائكة كان سرا •

● ووحى الله الى النحل مجاز كما فى « **وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** » (١) •

دل السياق هنا على أن الوحى التعليم والالهام الطبيعى •

● ووحى الله الى السماء والأرض مجاز كما فى : « **ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين • فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها** » (٢) •

وقوله تعالى : « **اذا زلزلت الأرض زلزالها • وأخرجت الأرض أثقالها • وقال الانسان مالها • يومئذ تحدث أخبارها • بأن ربك أوحى لها** » (٣) •

دل السياق على أن الوحى هنا مجاز وهو التسخير لأن الله نسب اليها القول والحديث وهى لا تقول ولا تتحدث ولكنه تطاوع •

---

(١) النحل ٦٨ ، ٦٩ (٢) فصلت : ١١ ، ١٢
(٣) الزلزلة : ١ — ٥

● ووحى زكريا الى قومه مجاز كمـــا فى قوله تعـــالى : « **فخرج على قومه من المحـــراب فأوحى اليهم أن ســبحوا بكرة وعشــيا** » (١) •

دل السياق هنا على أن الوحى ايماء ورمزا واشارة لأنه نذر للرحمن صوما ولا يكلم الناس •

● ووحى الشــــياطين الى الانس مجاز كما فى « **وان الشــياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون** » (٢) ، وقوله تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون** »(٣) •

دل السياق على أن الوحى فى هاتين الآيتين مجاز لأنه وسوسة الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنـــة والناس • فقد دلت القرائن على كون هذا الوحى كله مجازا •

أما وحى الله الى أم موسى فهو حقيقة ولمـــا حملوه على المجاز اختلفوا فى معناه هل هو رؤيا أو الهام أو غيرهما ولم يتفقوا على شىء واحـــد لأنهم أرادوا اخراج الوحى من الحقيقة الى المجاز من غير قرينة مانعة للحقيقة فأبت عليهم الكلمة وكذلك فعلوا فى وحى الله الى الحواريين قالوا انهم ليسوا أنبياء مع

---

(١) مريم : ١١ (٢) الأنعام : ١٢١
(٣) الأنعام : ١١٢

أنهم بشر كلمهم الله سواء بالرؤيا أو بالالهام كما يكلم الأنبياء ولم يستندوا فى تأويل هذين الوحيين الى حجة قاطعة بل حجتهم فى النساء ظنية فى أن الله لا يختار من النساء نبيا وليس لهم نص فى ذلك غير النص القائل بأن الله لا يبعث من النساء رسولا . وحجتهم فى انكار نبوة الحواريين أن الله لم يختر منهم نبيا ، مع وجود نص نفهم منه أن الله بعث من الحواريين رسلا بعد أن اختار منهم أنبياء . اذ لا فرق بين الوحى اليهم وبين الوحى الى سائر الأنبياء سواء أكان ذلك رؤيا منامية أو الهاما .

ولو امتنع أن يكون وحى الله الى البشر نبوة بل مجرد الهام أو رؤيا منام لما قال تعالى : « **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء** » (١) اذ كل انسان يتلقى من الله الهاما ويرى رؤيا منام فكيف يكون من ادعائهما مفتريا على الله كذبا بعد أن كانا فضلا مشاعا .

وحيث كان الوحى الى البشر نبوة صار من يدعيه من غير نبى كاذبا مفتريا على الله . فكيف يفسر الوحى اذن الهاما أو رؤيا منام ؟

* * *

● طرق الوحى الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم :

أورد السهيلى فى الروض الأنف سبع صور فى كيفية نزول

---

(١) الأنعام : ٩٣

الوحى على محمد ﷺ وقال : لم أر أحدا جمعها كهذا الجمع .
قال ذلك بعد ترتيبها كالآتى :

١ ـ منها النوم كما فى حديث ابن اسحاق وكما قالت عائشة أيضا : « أول ما بدىء به رسول الله ـ ﷺ ـ من الوحى الرؤيا الصادقة » . وقد قال ابراهيم عليه السلام : « **انـــى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** » [1] فقال له ابنه « **افعل ما تؤمر** » [1] فدل على أن الوحى كان يأتيهم فى المنام كما يأتيهم فى اليقظة .

٢ ـ منها نزول اسرافيل عليـــه بكلمات من الوحى قبل نزول جبريل ثلاث ســـنين .

٣ ـ ومنها أن ينفث فى روعه الكلام نفثا كما قال عليـــه السلام : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

٤ ـ ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليـــه ان ذلك ليستجمع قلبه عند الصلصلة فيكون أوعى لـــا يسمع وألقن لـــا يلقى .

٥ ـ ومنها أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة .

ويروى أن دحية كان اذا قدم المدينـــة لم تبق محصن الا خرجت تنظر اليه لفرط جماله .

---

(١) الصافات : ١٠٢ .

٦ ــ ومنها أن يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت .

٧ ــ ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب اما فى اليقظة كما كلمه ليلة الاسراء ، واما فى النوم كما فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى قال :

« أتانى ربى فى أحسن صورة فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت : لا أدرى ، فوضع كفه فوجدت بردها بين ثندوتى وتجلى لى علم كل شىء قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت فى الكفارات فقال وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات ونقل الأقدام الى الحسنات وانتظار الصلوات بعد الصلوات . ان فعل ذلك عاش حميــدا ومات حميــدا وكان من ذنبه كمن ولدته أمه » (١) .

واذا سلمنا أن هــذه هى طرق الوحى من الله الى أنبيائه فكيف ننكر نبوة أحد كلمه الله بواحد من هــذه الطرق ، ولماذا نقبل نبوة ابراهيم بالرؤيا وننكرها لأم موسى ونقبل نبوة جميع من أوحى الله اليهم من الأنبياء ثم نرد نبوة الحواريين وهم ممن أوحى الله اليهم من البشر ايحاءه الى ســائر الأنبياء .

* * *

---

(١) الروض الأنف : للسهيلى : ص ٢٧٠ .

الفصل الثالث



- التفاضل بين النبوة المطلقة والنبوة مع الرسالة .
- تعريف جديد للنبى والرسول .
- عدد الأنبياء وعدد المرسلين .
- نبوة آدم ورسالته .
- المختلف فى نبوتهم بتاويل نص القرآن .
- الأنبياء المبهومون فى القرآن .
- الكلام فى تحقيق نبوة الحواريين ورسالتهم .
- دليل نفى نبوة الحواريين ظنى لا قطعى .
- لكل نبى حوارى .
- ابن حزم وأسماء الحواريين .
- حدود تصديق التوراة والانجيل .
- كثرة الأنبياء فى بنى اسرائيل .
- الكثرة ليس دليلا على الخير .
- التباس نبوة بنى اسرائيل بما يشابهها .

التفاضل بين النبوة المطلقة والنبوة مع الرسالة

لقد حقق السلف التفاضل بين النبى المطلق والنبى المرسل بعد تحقيقهم الفرق بين مهمتهما استنادا الى قوله تعالى : « **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** » [1] وفى هذا دليل على تفضيل الرسول على النبى المطلق .

كما ثبت التفاضل بين الرسل بقوله تعالى : « **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** » [2] وفى هذا دليل تفضيل المرسلين المذكورين فى القرآن على غير المذكورين فيه ، وتفضيل أولى العزم منهم على غيرهم .

وصح عند الجمهور بشكل الاجماع أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا والفرق بينهما العموم والخصوص . ويؤيده قوله تعالى : « **وكم أرسلنا من نبى فى الأولين** » [3] .

ويطلق النبى على الرسول من باب اطلاق العام على الخاص كما يطلق العسكر على الجندى العادى وعلى ذى الرتبة العالية .

والتعريف التقليدى المشهور للنبى والرسول هو :

النبى من أوحى الله اليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه .

---

(١) الاسراء : ٥٥ (٢) البقرة : ٢٥٣

(٣) الزخرف : ٦

والرسول من أوحى الله اليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه .

وأوضح الزمخشري في تفسيره وقال : الرسول من الأنبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه .

والنبي غير الرسول وهو من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الناس الى شريعة من قبله .

واعترض بعض العلماء على التفريق بين النبي والرسول . وقال : « لا فرق بين الرسول والنبي في التبليغ اذ ما من نبي الا وقد تلا على قومه الكتاب واستدل على ذلك بقوله تعالى : **« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان »** (١) .

كما استدل أيضا على أن الله أخذ الميثاق على أهل العلم ألا يكتموه للناس بقوله تعالى : **« واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه »** (٢) .

لذلك يحرم على كل نبي أن لا يبلغ ما أوحي اليه وكل نبي على هذا يكون رسولا حيث بلغ لغيره .

(قلت) أولا : ان الاستدلال بالآية ظني وليس قطعيا لأن كلمة « تمنى » تدل على معنيين :

---

(١) قال القاضي عياض : لو كان الرسول والنبي شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الآية ، والمعنى : وما ارسلنا من رسول الى أمة أو نبي وليس بمرسل الى احد . (والآية من سورة الحج : ٥٢) .
(٢) آل عمران : ١٨٧ .

أولهما : أراد ، وهو المتبادر الأول •

وثانيهما : قرأ وتلا ، وهو المعنى الثانى فلا يجوز حمل المعنى على الثانى دون الأول المتبادر •

ثانيا : ان أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لا ينطبق على الأنبياء وانما ينطبق على أتباعهم بدليل قوله بعده ((**فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا**)) (١) فبذلك بطل الاعتراض •

***

• تعريف جديد للنبى والرسول :

ان التعريف التقليدى للنبى والرسول لم يسلم من النقد والإعتراض لأنه ليس مستمدا من النص لذلك رأيت أن يؤخذ تعريف النبى من قوله تعـالى : ((**وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسـولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم**)) (٢) •

ومن حديث أبى ذر حين سأل النبى ﷺ : هل كان آدم نبيا ؟ قال : ((نعم كلمه الله)) •

ومن ثم يكون كل من كلمه الله بوحى من البشر نبيا •

وشرحت الآية السابقة طرق الوحى وعلى ذلك نقول : النبى : بشر كلمه الله عيانا أو من وراء حجاب أو أرسل اليه

---

(١) آل عمران : ١٨٧ (٢) الشورى : ٥١

ملكا فأوحى اليه باذنه ما شاء ، كما يؤخذ تعريف الرسول من قوله تعالى :« **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** » (١) •

وقوله تعالى : « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك** » (٢) •

وقوله تعالى : « **ما على الرسول الا البلاغ** » (٣) •

وقوله تعالى : « **رسلا مبشرين ومنذرين** » (٤) •

وقوله تعالى : « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » (٥) •

ونقول فى تعريفه :

الرسول : هو النبى الذى بعثه الله داعيا الى الله ومبلغا رسالة الله ومبشرا ونذيرا •

* * *

● عدد الأنبياء وعدد المرسلين :

ومما يثبت الفرق بين الأنبياء والمرسلين وورود نص الحديث على تحديد العدد لكل منهما كما فى الطبرانى عن أبى ذر يقول :

قلت : يا رسول الله •• كم الأنبياء ؟ فقال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » •

---

(١) النحل : ٣٦
(٢) النساء : ١٦٥
(٣) المائدة : ٩٩
(٤) المائدة : ٦٧
(٥) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦

قلت : يا رســول الله •• كم المرســلون منهم ؟ قال : « ثلاثمائة وثلاثة عشر » •

قلت : أكان آدم نبيا ؟ قال : « نعم كلمه الله وخلقه بيده » •

(قلت) : ومهما يقال من ضعف هــذا الحديث لورود حديث آخر يعارضه فى العدد فقد صح وجود الفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل •

ولقد بحث المفسرون فى بعض هؤلاء الرسل ضمن بحوثهم عن مبهمات ودونوها فى كتبهم أورد السيوطى فى الاتقــان بعضــها •

غير أن علمــاء التوحيد قرروا بأن الواجب معرفته من المرسلين خمسة وعشرون كما فى قول بعضهم :

حتم على كل ذى التكليف معرفة ... بالمرسلين على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانيــة ... وعشرة وتبقى ســبعة وهموا
ادريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

استخرجوا أسماء هؤلاء الرسل من مختلف الآيات القرآنية :

فى ســورة الأنعام ثمانية عشر : « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشــاء ، ان ربك حكيم عليم • ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزى المحسنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل**

من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين » [1] .

وأسماء الآخرين فى آل عمران : **« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين »** [2] .

وآخـــرون فى هود : **« والى عاد أخاهم هودا »** [3] ، **« والى ثمود أخاهم صالحا »** [4] **« والى مدين أخاهم شعيبا »**[5]

« واسماعيل وادريس وذا الكفل ، كل من الصابرين » [6]

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رســـول الله وخاتم النبيين » [7] .

وهكذا استخرجوا أسماء خمسة وعشرين من الرسل الذين صرح الله بهم فى القرآن ، أما الذين أبهم الله بأسمائهم فى القرآن فهم كثير بحث المفسرون فى أسمائهم ضمن بحوثهم فى مبهمات القرآن . وسواء فى ذلك من كانوا أنبياء مطلقا ومن كانوا رسلا بعـــد نبوتهم ، ومع ذلك لم يحصر القرآن أســـماء المرسلين الثلاثمائة وثلاثة عشر فضلا عن حصر الأنبياء .

ولكن المفسرين والمؤرخين حاولوا علم ما تيسر من ذلك مبعثرا فى شتات الكتب ومن عجيب الاتفاق أن يستخرجوا عدد الأنبياء

---

(١) الأنعام : ٨٣ — ٨٦
(٢) آل عمران : ٣٣
(٣) هود : ٥٠
(٤) هود : ٦١
(٥) هود : ٨٤
(٦) الأنبياء : ٨٥
(٧) الأحزاب : ٤٠

والمرسلين فى اسم « محمد » كما ذكره أحمد السجاعى فى فتح المنان فى بيـــان الرسل التى فى القرآن وقال فى عدد المرسلين :

ان شئت عدة رسل كلها جمعا   محمد سيد الكونين من فضـــلا
خذ لفظ ميم ثلاث ثم حا وكذا   دال تجد عـــدد للمرسلين علا

ولهم طريقة أخرى فى استخراج عدد الأنبياء فى اسم « محمد » وسنذكرها فى محله .

* * *

● **نبوة آدم ورسالته :**

يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء :

« ان القرآن لم يذكر لفظ النبوة بازاء آدم كما ذكر ذلك بازاء غيره من الأنبياء ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له فى ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليـــه دون أن يرسل اليه رسولا وهذا كله معانى النبوة ، أما رسالته فالأمر مختلف فيـــه » .

قلت : ان القرآن نظم آدم فى سلك الرسل اذ أطلق عليه كلمة اصطفى فى قوله : « **ان الله اصطفى آدم ونوحا** » (١) ولا يطلق القرآن هـــذه الكلمة الا على المرسلين .

ثم ان الله أرسله بشرع لأبنائه من ذلك نظـــام التزويج والقربان فاقرأ قوله تعالى : « **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا** » (٢) ... الخ ، فاذا لم يكن له شرع فمن أين

---

(١) آل عمران : ٣٣   (٢) المـــائدة : ٢٧ .

وجدوا القربان ؟ واذا لم يكن نبيا رسولا ، فكيف كان له شرع وقد نزلت عليـــه الصحف ؟

وفى الحديث أن الله أنزل عليه عشر صحائف . أما حديث الشفاعة فلا ينهض دليلا لرد رسالته وبدء الرسالة من نوح ، فقد أرسل الله آدم وشيث وادريس قبل نوح .. انما يكون نوح أول الرسل بعد الطوفان .

* * *

● **المختلف فى نبوتهم بتأويل نص القرآن :**

لقد أسلفنا أسماء المرسلين المتفق على نبوتهم ورسالتهم لأن القرآن صرح بذلك ، ونحن نذكر الآن بعض الأنبياء المرسلين الذين اختلف المفسرون فى كونهم أنبياء ومرسلين .

نخص بالذكر منهم خمسة ، ونورد ترجيح الأدلة على كونهم أنبياء وهم :

الأول : الأسباط أولاد يعقوب .

الثانى : عزير صاحب الحمار .

الثالث : الخضر صاحب موسى .

الرابع : ذو القرنين صاحب الســـد .

الخامس : لقمان صاحب الحكمة .

أما الأسباط فقد قال القرآن فيهم :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى

وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحـد منهم ونحن له مسلمون » [1] .

« قل آمنا بالله وما أنزل علينـا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » [2]

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسـليمان ، وآتينـا داوود زبورا » [3] .

ولقد دلت الآيات الثلاث في البقرة والنسـاء وآل عمران على أن الله تعالى أنزل على الأسباط مثل ما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق الخ . وأوحى اليهم كما أوحى الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب . فمن هم الأسباط ؟

فقد نظر بعض المفسرين الى كلمة الأسباط من الزاوية اللغوية وفسرها بالذرية والأحفاد اعتمـادا على ما جاء فى قوله تعـالى : « **وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما** » [4] انطباقا للمعنى اللغوى .

ونظر بعضهم الى الكلمة من ناحية الاصطلاح القرآنى وفسرها بالأولاد الاثنى عشر ، وهم يوسف واخوته لأن الله يذكر دائمـا يوسف عقب يعقوب ضـمن الأسـباط حيث

---

(١) البقرة : ١٣٦
(٢) آل عمران : ٨٤
(٣) النساء : ١٦٣
(٤) الأعراف : ١٦٠

يذكر من قبل يوسف ومن بعده من الأنبيـــاء والرسل تصريحا ويذكر يوسف مع الأسباط تضمينا ولم يرد فى القرآن ذكر يوسف مرادفا للأســباط أو الأســباط مرادفا ليوسف وانما يذكره ضمن الأســباط •

قال الصاوى فى حاشيته على الجلالين عند تفسير الأسباط فى سورة البقرة : « الأسباط أولاد يعقوب ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء ومنهم يوسف وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر فى شرحه على الهمزية •

ان قلت : الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتى فى سورة يوسف من رميهم أخاهم فى الجب واتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة •

أجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط فلا يلزم اجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر •

فالمدار على خلوصهم فى الباطن على حد ما قيل فى أفعال الخضر مع موسى من قتل نفس زكية بغير نفس فقد شهد الله له بأنه ما فعله عن أمره ، فيكون ما جرى من الأسباط فى حق يوسف كما جرى من الخضر » • انتهى كلام الصاوى •

على أننا نرى أن العصمة ليست لازمة للأنبياء وانما هى لازمة للمرسلين كما يدل عليــه ظاهر النصوص الواردة فى العصمة •

وكان أبو محمد ابن حزم ممن لا يرى اثبات نبوة اخوة

يوسف ، ومما استدل به على اسقاطها عنهم قول الله تعالى حاكيا عن يوسف « **أنتم شر مكانا** »[1] وقال : لا يجوز البتة أن يقوله نبى من الأنبياء لنبى مثله اذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس •

قلت : لا يكفى هذا دليلا على اسقاطهم من جملة الأنبياء ولا ينهض عدم توقير يوسف لهم حجة وانما قال لهم يوسف هذا القول من أجل ما فعلوا له من الصنائع •

ويجوز ذلك شرعا لقوله تعالى : « **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** »[2] •

وقد قال تعالى لأبينا آدم بعد أكله من الشجرة التى نهاه عنها: « **وعصى آدم ربه فغوى • ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** »[3] نسب الله الغواية لآدم من أجل ما فعل ثم غفر له وهداه واجتباه •

أما صاحب الحمار فهو نبى لأن الله كلمه وحكى لنا القرآن هذا التكليم فى قوله تعالى : « **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال كم لبثت ، قال لبثت يوما أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير** »[4] •

---

(١) يوسف : ٧٧ (٢) النساء : ١٤٨
(٣) طـه : ١٢١ ، ١٢٢ (٤) البقرة : ٢٥٩

وقد أجمع المفسرون على أنه عزير الذى ذكره القرآن فى قوله تعالى : ((**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**)) (١)

وجاء فى البداية والنهاية حديث عن النبى قال : ((نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار ، فأوحى الله : هلا نملة واحدة)) وروى عن ابن عباس والحسن البصرى أنه عزير .

أما ذو القرنين صاحب السد : فهو نبى لأن الله كلمه بقوله تعالى : ((**قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسرا**)) (٢) .

وفى قوله تعالى : ((**اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا**)) (٣) دليل آخر لأنه لو ام يرسله اليهم لم يكن يعذب منهم لقوله تعالى : ((**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**)) (٤) .

أما ما رواه ابن عساكر من أن النبى ﷺ قال : ((لا أدرى ذو القرنين نبيا كان أم ملكا)) فيحمل على أن النبى ﷺ أثبت له النبوة والملك كما ثبتا لداوود وسليمان ولا يدرى أيهما أرجح فى ميزانه .

---

(١) التوبة : ٣٠.
(٢) الكهف : ٨٦ — ٨٨ .
(٣) الكهف : ٨٦
(٤) الاسراء : ١٥

وفى قصص الأنبياء للثعالبى « اختلف فى نبوته فيروى عن النبى ﷺ قال : « لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا » ؟ فلو صح الحديث لكان الخوض فى المسألة تكلفا ، ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم : لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا ، وقال آخرون بل كان نبيا مرسلا . والصحيح أنه كان نبيا مرسلا» ثم استطرد فى قصته مع قومه ومنهم يأجوج ومأجوج [1] .

أما لقمان صاحب الحكمة وصاحب السورة القرآنية المنسوبة اليه [2] فقد حكى الله عنه فيها ما لم يأت بأفضل منه نبى ولا رسول وقال تعالى : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد . واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى**

---

(١) قصص الأنبياء : للثعالبى ، ص ٤٨٦

(٢) فهو اسود بدليل : «خير السودان لقمان وبلال والنجاشى» رواه ابن عساكر .

الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير • يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور • ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور • واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » (١) •

فاذا أسقطنا من حكى الله على لسانه هذه المواعظ والحكم والنصائح كلها من عداد الأنبياء والمرسلين فما جوهر النبوة والرسالة ؟ فهل بعد هذه النصوص يكون هناك دليل أو وزن لقول صاحب « بدء الأمالى » رحمه الله :

وذو القرنين لم يعرف نبيا كذا لقمان فاحذر عن جدال ؟

ومما يدل على ثبوت نبوة لقمان وذى القرنين أن ذا القرنين أسمر اللون من حمير اليمن ، ولقمان أسود نوبى ، وذلك مما يحقق أن الله بعث من كل أمة نبيا ورسولا كما قال ، ولا فرق عنده بين لون ولون •

أما الخضر صاحب النبى موسى : فهو بدون شك نبى اذ هو الذى قال تعالى فيه : « **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** » (٢) •

قال المحققون : ان الرحمة التى آتاها الله لهذا العبد الصالح ما هى الا نبوة بدليل قوله تعالى : « **وقالوا لولا نزل هذا القرآن**

---

(١) لقمان : ١٢ — ١٩ (٢) الكهف : ٦٥

على رجل من القريتين عظيم · أهم يقسمون رحمة ربك » [1] ·

ثم قوله تعالى : « **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »** [2] ·

ثم ان المعلم الذى علمه الله الخضر وقام بتأويله فى أفعال وأقوال فى قوله تعالى : « **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا · وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا · فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما · وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى ، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا »** [3] ·

فلا يمكن بأى حال أن يحيط علما بكل ذلك الا عن طريق الوحى وقد علمه الله كما علم آدم الأسماء ، فالى أى دليل استند الذين أخرجوه من عداد الأنبياء ؟

أما ابن كثير فقد أثبت له النبوة بالحجة الآتية ونصها :

يقول ابن كثير عند قصة الخضر : « لقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه :

---

(١) الزخرف ٣١ ، ٣٢ (٢) يونس : ٥٨

(٣) الكهف : ٧٩ — ٨٢

أحدها : قوله تعالى : ((**فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**)) (١) •

ثانيها : قول موسى الكليم : ((**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشــداً**)) (٢) ـ الى قوله تعــالى : ((**فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا**)) (٣) ولو لم يكن نبيا لم يخاطبه موسى بهــذه المخاطبة ولم يرد هو على موسى مثل هــذا الرد •

ثالثها : أن الخضر ما أقدم على قتل ذلك الغلام الا بوحى لأن الولى لا يجوز له الاقدام على قتل النفس بمجرد ما يرد له فى الخاطر » (٤) •

وأضاف ابن كثير أن أبا الفرج ابن الجوزى احتج على نبوة الخضر بهذه الدلائل فلم يبق مستند يستند اليه أو معتمد يعتمد عليه من ينفى النبوة عن الخضر •

* * *

● الأنبياء المبهومون فى القرآن :

أما الأنبيــاء الذين أشــار القرآن اليهم ولم يصرح بأسمائهم فمنهم :

---

(١) الكهف : ٦٥ (٢) الكهف : ٦٦
(٣) الكهف : ٧٠
(٤) قصص الأنبياء : لابن كثير ، جـ ١ ، ص ٣٢٨

« يوشع ابن نون » أحد الرجلين اللذين ذكرهما القرآن بقوله : « **قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما** » [1] •

لقد أجمع المفسرون العارفون بمبهمات القرآن على أنهما يوشع وكالب •

أما «يوشع» فقد استخلفه موسى على بنى اسرائيل كما فى الحديث « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء وكلما هلك نبى خلفه نبى » •

قال ابن كثير : هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف •

وقد ذكره الله تعالى فى القرآن غير مصرح باسمه فى قصة الخضر فى قوله تعالى : « **واذ قال موسى لفتاه** » [2] وقـوله : « **فلما جاوزا قال لفتاه** » [3] وجاء فى الحديث الصحيح أنه يوشع بن نون وهو الذى تم على يديه فتح بيت المقدس •

وروى الامام أحمد عن أبى هريرة « ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس » •

وفى رواية أخرى له ولمسلم « غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، فغزا فدنا من القرية حين

---

(١) المائدة : ٢٣
(٢) الكهف : ٦٠
(٣) الكهف : ٦٢

صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ٠٠ اللهم احبسها على شيئا ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال : فيكم غلول فليبايعنى من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول ولتبايعنى قبيلتك فبايعته فلصق يد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم ٠ فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال فوضعوه بالمال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ذلك لأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيب لنا » ثم انى قرأت من الكتب حديث لم أقف على صحته يقول « نبىء يوشع بخدمة موسى » ٠

كل ذلك نصوص واضحة دلت على نبوة يوشع ورسالته ٠

أما « كالب » فلم يرد فى نبوته نص صريح فى الكتاب والسنة ولكن أهل الأخبار ذكروا بأنه استخلف على بنى اسرائيل بعد يوشع كما استخلف حزقيل من بعده [١] ٠

ومنهم النبى الذى أحيا الله به القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الموت ثم ماتوا كما فى قوله تعالى : **« ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون »** [٢] ٠

---

(١) انظر قصص الأنبياء للثعالبى ٠
(٢) البقرة : ٢٤٣

وكان جمهور المفسرين وعلماء الأخبار على أنه حزقيل النبى الذى استخلف على بنى اسرائيل من بعد كالب •

وذلك لما مر بهم وقف عليهم يتعجب كيف ماتوا جميعا مرة واحدة وكيف يحييهم الله فأوحى الله اليه : أتريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم • قيل له ناد فنادى : أيتها الأجساد ان الله يأمرك أن تقومى •• فقاموا جميعاً •

ومنهم النبى الذى سأله بنو اسرائيل أن يبعث لهم ملكا كما فى قوله تعالى : « **ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله** »(١)

أجمع المفسرون وأهل المعرفة بمبهمات القرآن على أنه « شمويل » آخر أنبياء بنى اسرائيل قبل داوود وسليمان •

ومنهم رسل أصحاب القرية « الحواريون » •

* * *

● **الكلام فى تحقيق نبوة الحواريين ورسالتهم :**

نستطيع أن نستنبط دليلين قويين على نبوة الحواريين من قوله تعالى : « **واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** »(٢) •

الدليل الأول : اثبات الوحى من الله اليهم مباشرة كما هو

---

(١) البقرة : ٢٤٦ (٢) المائدة : ١١١

ظاهر النص « **واذ أوحيت الى الحواريين** » ولا شىء يخـرج هـذا الوحى من جملة الوحى الى الأنبياء الذى فى قوله تعالى : « **انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعـده** »[1] وقد سبق الكلام فى كون وحى الله الى البشر نبوة على الحقيقة والواقع .

الدليل الثانى : المحاورة بينهم وبين الله كما هو ظاهر النص « **أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** »[2] .

ولم يكن الكلام والجواب بين الله وبين بشر الا كان نبيا ومثله ما جاء فى ابراهيم « **اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** » [3] .

أما ايمانهم بعيسى قبل أن يكونوا أنبياء فمثله كمثل ايمان لوط بابراهيم قبل أن يكون نبيا كما فى قوله تعالى : « **فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى** » [4] .

فعلى من ينفى عنهم النبوة أن يأتى بمـا يسقط هذين الدليلين .

أما تحقيق القول بأن الحواريين مرسلون من عنـد الله فيؤيده ظاهر النصوص الواردة فى سورة يس من قوله تعالى :

---

(١) النساء : ١٦٣ (٢) المائدة : ١١١
(٣) البقرة : ١٣١ (٤) العنكبوت : ٢٦

((**واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون • اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون • قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون • قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون • وما علينا الا البلاغ المبين • قالوا انا تطيرنا بكم ، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم • قالوا طائركم معكم ، أئن ذكرتم ، بل أنتم قوم مسرفون • وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون**))[1] أجمع المفسرون سلفا وخلفا انهم رسل عيسى•

قال الحافظ ابن كثير : ان ظاهر الآية يدل على أنهم رسل من الله عز وجل واشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أنطاكية وهو مع ذلك قول ضعيف لأن أنطاكية أول قرية آمنت بالمسيح وصارت احدى المدن الأربع التي تكون فيها بطاركة النصارى وهى : أنطاكية والقدس والاسكندرية ورومية ثم بعدها القسطنطنية ولم يهلكوا ، وأهل هذه القرية قد أهلكوا بعد قتلهم صديق المرسلين بقوله تعالى : ((**ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون**))[2] قال المفسرون: بعث الله اليهم جبريل فأخذ بعضادتى الباب الذى لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون • ولكن اذا كانت الرسل قد بعثوا الى أهل أنطاكية قديما فكذبوهم وأهلكهم الله

---

(١) يس : ١٣ — ٢١ (٢) يس : ٢٩

ثم عمرت بعد ذلك فلما كان فى زمن المسيح آمنوا برسله اليهم فلا يمنع هذا •

ثم قال ابن كثير : أما القول بأن هـــذه القصة المذكورة في القرآن هى قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم •

واستدل ابن كثير على رسالتهم من عند الله بما رد عليهم قومهم أنهم بشر مثلهم كما قالت الأمم الكافرة لرسلهم،وباجابتهم بأن الله يعلم أنهم رسله ولو كانوا كاذبين لعاقبهم وانتقم منهم ، وبأن عليهم البلاغ كمـــا على الرســـل وبقولهم للرسل انهم تطيروا بهم •

وتحقيقا لما ذهب اليه ابن كثير فى اثبات رسالتهم وتأييدا لرأيه هـــذا نستطيع أن نستدل على رسالتهم بالآيات الواردة فيهم بسبعة أدلة :

الدليل الأول : قوله تعـــالى : **« اذ أرســـلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون »**[1] •

ويمكن الجمع بين كونهم رسلا من عند الله وبين كونهم رسلا من عنـــد عيسى بأن عيسى قد اختارهم بوحى من الله أو بطلب منه الى الله أن يؤيده بهم كما فى قصة ابراهيم حيـــث قال تعـــالى : **« انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى »** [2]

---

(١) يس : ١٤ (٢) البقرة : ١٢٤

فاستجاب الله منه طلبـــه واستثنى الظالمين منهم بقوله تعالى : **« لا ينال عهدى الظالمين »** (١) .

وكما في قصة موسى حيث قال تعالى : **« واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى . أشدد به أزرى . وأشركه في أمرى . كى نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . انك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سؤلك يا موسى »** (٢) .

الدليل الثانى : نفى المكذبين رسالتهم بحجة بشريتهم كما نفاها المكذبون السابقون عن الرسل الأولين ، وقد حكى الله لنا ذلك فى القرآن أنهم نفوها عن هود وصالح وغيرهم بقوله : **« قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين »** (٣) ، وذلك لأنهم يستبعدون أن يكون رسل الله بشر ، ويقولون : لو شاء الله لأنزل ملائكة .

الدليل الثالث : حكاية الله عنهم القسم لاثبات رسالتهم فى قوله تعالى : **« قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون »** (٤) كما أثبت الله القسم لرسالة سيدنا محمد ﷺ فى قوله تعالى : **« انك لمن المرسلين »** (٥) .

الدليل الرابع : تحمل البلاغ وأداؤه الذى هو ذمة الله على الرسل وقد حكى الله ذلك عنهم بقوله تعالى : **« وما علينا**

---

(١) البقرة : ١٢٤ . (٢) طـــه : ٢٩ — ٣٦

(٣) ابراهيم : ١٠ (٤) يس : ١٦

(٥) يس ٣

الا البلاغ المبين »[1] وذلك كما فى قوله تعالى : « **فهل على الرسل الا البلاغ المبين**»[2] وكقوله تعالى : « **وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ، وما على الرسول الا البلاغ المبين** »[3] .

الدليل الخامس : قول هؤلاء المكذبين لهم كما يقول المكذبون للرسل اذ ابتلاهم الله ببلاء من أجل تكذيبهم الرسل « **قالوا انا تطيرنا بكم ، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** »[4] .

وهـــذه سنة الله فى الذين خلوا من قبل فانه كان يأخذ المكذبين بما يكون فيه انذارهم أولا ليؤمنوا كما فى قوله تعالى : « **ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** »[5] .

ولمـــا أرسل الله صالحا الى ثمود فكذبوه أخذهم الله ببلاء لعلهم يؤمنون فقالوا : « **اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله ، بل أنتم قوم تفتنون** »[6] .

ولما أرسل الله موسى الى فرعون وملائه وكذبوه قال تعالى : « **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون . فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هـــذه ، وان تصبهم**

---

(١) يس : ١٧ (٢) النحل : ٣٥
(٣) العنكبوت : ١٨ (٤) يس : ١٨
(٥) الأنعام : ٤٢ ، ٤٣ (٦) النمل : ٤٧

سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون » [1] .

وأما قولهم : « **لئن لم تنتهوا لنرجمنكم** » [2] وكذلك قال أبو ابراهيم لابراهيم « **يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك ، واهجرني مليا** » [3] وقال قوم شعيب « **وانا لنراك فينا ضعيفا، ولولا رهطك لرجمناك** » [4] .

الدليل السادس : أن ما يعرف به صدق جميع الرسل أنهم مبعوثون من الله أن لا يسألوا قومهم على الدعوة أجرا ولا يقبلون بدلها مالا ولا جاها ، وقد أثبت الله ذلك لهؤلاء حكاية عنهم على لسان من قال فيه القرآن « **وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون** » [5] .

الدليل السابع : انزال العذاب على هؤلاء المكذبين بقوله تعالى : « **وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون . ياحسرة على العباد ، ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون** » [6] .

---

(1) الأعراف : ١٣٠ ، ١٣١ (2) يس : ١٨
(3) مريم : ٤٦ (4) هود : ٩١
(5) يس : ٢٠ ، ٢١ (6) يس : ٢٨ — ٣٠

وتلك سـنة الله فى مكذبى الرسـل لقوله تعـالى : **« فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليـه حاصبا ومنهم من أخذته الصـيحة ومنهم من خسـفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا »** [1] .

أما قول الحافظ ابن كثير ان ما اشتهر من السلف والخلف أن هـذه القرية هى أنطاكية قول ضعيف ، فقد علله بأن أنطاكية لم تهلك بل هى أول مدينة آمنت بالمسيح لما بعث اليهم الرسل وهى احدى المدن الأربع التى منها بطاركة النصارى : أنطاكية ، والقدس ، والاسكندرية ، ورومية،ثم القسطنطينية،ونص القرآن يدل على أن القرية أهلكت .

وأورد ما قاله المفسرون من أن جبريل أخذ بعضادتى باب القرية ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون .

فأنا أقول : ليس فى الآية ما يدل على أن الله أهلك أهل القرية بأسرها بل صريح الآية يدل على أن الذين قتلوا صديق المرسلين المعروف بحبيب النجار هم الذين أهلكوا بدليل قوله تعـالى : **« وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون »**[2]

ولا نعرف ما استند اليه المفسرون فى قولهم ان جبريل صاح بأهل القرية فأهلكوا جميعا أما ما ذهب اليه ابن كثير من تضعيف نسبة هـذه القصة الى أصحاب المسيح فليس بصحيح لأنه

---

(١) العنكبوت : ٤٠ (٢) يس : ٢٨ ، ٢٩

لم يستطع أن يحقق ذلك بايراد أسماء أخرى للمرسلين خلافا لـما اتفق عليـه المفسرون ولا يجوز استبدال العلم بالجهل والمثبت مقدم على النافى •

على أن ما ورد فى الاصحاح الخامس من «سفر الأعمال» الملحق بالأناجيل الحاضرة يثبت هـذه القصة تماما ويقوى القول بأنها واردة فى أصحاب المسيح وان كان هناك خلاف بين المفسرين وبين ما فى ذلك السفر ففى بعض الأسماء فقط • ثم ان كانت القرية فى الأناجيل أورشليم فلا مانع من قبولها لأنها من بلاد النصارى اذ جاء فى ذلك السفر « ان بطرس وسمعان لـما كانا يبشران ويعملان العجائب فى أورشليم حبسهم الكهنة وتآمروا على قتلهما فجاءهم رجل ربانى يقال له غمالائيل وحـذرهم » •

ثم ذكر فى الاصحاح السادس « أن رجلا اسمه استفانوس وهو من أتبـاع الحواريين وأنه غلب جميـع الكهنة بالحكمة والموعظة فقاموا عليـه يرجمونه أما هو فشخص الى السماء وهى ممتلىء من الروح القدس فرأى السموات مفتوحة فصار يدعو : يارب اقبـل روحى ولا تقم لهم هـذه الخطيئـة • ثم رقد ومات •

وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم فى الكنيسـة فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسـل » •

* * *

● دليل نفى نبوة الحواريين ظنى لا قطعى :

تلك الأدلة التى سقناها من القرآن أدلة قطعية أثبتت نبوة الحواريين ورسالتهم ولا أعلم دليلا يعارضها غير دليل ظنى من الحديث المتفق عليـــه عند البخارى ومسلم باختلاف يسير .

ولفظ البخارى عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ليس بينى وبينه نبى » .

وفى رواية أخرى : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبيـــاء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحـــد » .

وفى رواية مسلم : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة » .. قالوا : كيف يا رسول الله ؟

قال : « الأنبياء اخوة من علات وأمهاتهم شتى دينهم واحد فليس بيننا نبى » .

فاتفاق البخارى ومسلم على جملة «ليس بينى وبينه نبى» دليل على صحة الحديث ولكن مهما بلغ الحديث من الدرجة فى الصحة فلا يمكن أن يعارض نص القرآن فينسخه .

ولقد حقق العلماء أنه لم يوجد نص كتابى أبطلته السنة ، وقال الامام الشافعى « ان السنة لا تكون ناسخة للكتاب وانما

هى تبع له الا ما كان من باب التخصيص واذا تعارض الكتاب والسنة وأمكن التخصيص خصص أحدهما الآخر والا أولت السنة » انظر الرســالة •

ولهذا نرى لزوم تأويل هذا الحديث بأن النبى الذى نفاه الرسول ﷺ أن يكون بينه وبين عيسى انما هو النبى المشرع من طبقة أولى العزم من الرسل لقوله تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى** » [1] وقوله تعالى : « **واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا** » [2] كثر بين هؤلاء الرسل أنبياء ولكنهم ليسوا من أولى العزم ، وعلى هــذا يصح أن يحمل قوله ﷺ : « ليس بينى وبين عيسى نبى » فى هــذه الدرجة والا كيف يترك الله العالم كله على فترة ستة قرون دون أن يبعث نبيا ورســولا قبل ختم النبوة على حين أن العالم بحاجة الى الرسل وعلى حين أن الله كان يبعث عددا من الأنبياء والمرسلين فى زمن واحد وقرن واحد •

أما ما جاء فى تفســير قوله تعــالى : « **على فتــرة من الرسل** » [3] فيقول الرازى :

---

(١) الشورى : ١٣ (٢) الأحزاب : ٧

(٣) المائدة : ١٩

«قيل بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو أقل أو أكثر ، وعن الكلبى كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبى ، وبين عيسى ومحمد — ﷺ — أربعة من الأنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب هو خالد بن سنان العبسى » [1] .

قلت : وجود أنبياء بعد عيسى قبل محمد ﷺ لم يتعارض مع بعثة محمد ﷺ على فترة من الرسل اذ لا تحديد للفترة انما هى جزء فاصل من الزمن قل أو كثر . وان الأنبياء الثلاثة من بنى أسرائيل بين عيسى ومحمد ﷺ هم من الحواريين .

* * *

● لكل نبى حوارى :

جاء فى البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء وكلما هلك نبى خلفه نبى وانه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون » .

وجاء فى الحديث أن النبى ﷺ ندب الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى ﷺ : «لكل نبى حوارى وحوارى الزبير» متفق عليه .

ومعنى ذلك « ناصرى » تشبيها لأنصار عيسى **« كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله »** [2] .

---

(١) الجزء الثالث ص ٣٨٦ (٢) الصف : ١٤

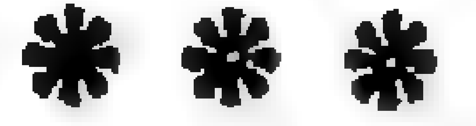
وجاء قوله ﷺ « كان فيما قبلكم محدثون وان يكن فى أمتي فعمر » رواه البخارى •

واذا جمعنا بين هــذا الحديث وذلك استخلصنا أن لكل نبى أنصارا وخلفاء ، وأن خلفاء أنبياء بنى اسرائيل أنبياء مثلهم الا ما كان فى نبينا من ختم النبوة فلا نبى بعده ولكن يكون له خلفاء كثيرون ، فقد سبق أن يوشع خلف موسى وهو نبى ، وخلف كالب يوشع وهو نبى ، وخلف حزقيل كالب وهو نبى ، وخلف شــمويل وهو نبى الى أن جاء داوود وسليمان وهما نبيان •

فلذلك لا يبعد أن يكون من حوارى عيسى أنبياء خلفوه كما خلفوا موسى للحديث السابق ، وقد أورد الله ذكر الحواريين فى القرآن ثلاث مرات فى آل عمران وفى المائدة وفى الصف •

وفى الانجيل سفر أعمال الرسل وهم من الحواريين وفى تاريخهم أن أتباع عيسى كانوا مائة وعشرين اختار منهم سبعين كتلاميذ ثم اختار منهم اثنى عشر سماهم رسلا وهم الذين استبدلوا واحدا آخر بالغادر بعد رفع عيسى •

ولمـــا ختمت النبوة بسيدنا محمد ﷺ جعل الله صحابته وحواريه علماء وخلفـــاء يؤيده حديث : « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » •



● **ابن حزم وأسماء الحواريين :**

قال السيوطى فى الاتقان وفى مفحمات الأقران « **اذ أرسلنا اليهم اثنين** » [1] : شمعون ويوحنا « **فكذبوهما فعززنا بثالث** » [1] : بولس •

وربما ذكر الآخرون أسماء غير هذه ولكنها لا تخرج غالبا عن حدود الحواريين ، وأسماء الحواريين مكتوبة فى الأناجيل الحاضرة وفى « انجيل برنابا » الذى هو أقرب الأناجيل للقرآن •

ولكن الامام ابن حزم يقول فى كتابه « الفصل فى الملل والنحل » : « ان أتباع عيسى الذين ذكروا فى الأناجيل الحاضرة ليسوا الحواريين الذين ذكرهم القرآن بل هم كافرون وكذابون وغالون فى المسيح أما الذين ذكرهم القرآن فلا نعرف أسماءهم » •

أقول : ان انكار أسماء الحواريين المعروفة واستبدالها بغيرها التى لا تعرف يعد ضربا من استبدال العلم بالجهل وذلك لا يجوز لأن المثبت مقدم على النافى ، وكان ينبغى بالامام أبى محمد بن حزم أن يقول :

«ان فى الأناجيل الحاضرة ما نسب الى المسيح والى الحواريين كذبا وبهتانا» ويستدل على ذلك بنصوص من الأناجيل الحاضرة منها ما جاء فى آخر انجيل يوحنا آخر الاصحاح

---

(١) يس : ١٤

الحادى والعشرين ونصه « هــذا التلميذ الذى يشهد بهــذا وكتب هــذا ونعلم أن شهادته حق » •

ولو كان هــذا الانجيل كله مكتوبا بيد يوحنا فلا يحتاج هــذا التلميذ المجهول الذى يشهد ويكتب الى المجهولين الذين يعلمون أن شــهادته حق •

وليس كل خلاف جاء معتبرا الا خلاف له حظ من النظر

كما أنه ليس كل ما فى الأناجيل الحاضرة كذب لأننا وجدنا فيها المواعظ الحسنة وصفات النبى محمد ﷺ وما وافق أحكام القرآن مما نقيم به الحجة على النصارى فى حقيقة الاسلام •

ولقد قرر القرآن بقاء صفات النبى ﷺ وأصحابه فى التوراة المبدلة والانجيل المحرف بقوله :

« الذين يتبعون الرســول النبى الأمى الذى يجــدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » (١) •

وقوله فى وصف أصحابه من قوله تعالى : **« محمد رسول الله ، والذين معــه »** الى قوله تعالى : **« ذلك مثلهم فى التــوراة ، ومثلهم فى الانجيــل كزرع أخرج شــطأه »** (٢) الى آخر الآية •

* * *

---

(١) الأعراف : ١٥٧ (٢) الفتح : ٢٩

● حدود تصديق التوراة والانجيل :

قال تعـالى : « **انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** » (١) تشير هـذه الآية الى التوراة الصحيحة قبل تبديلها .

وهناك آية أخرى « **وان منهم لفريقا يلوون ألسـنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هـو من عنـد الله وما هـو من عنـد الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » (٢) تشـير الآية الى التلمـود والفتاوى التى ينسبونها الى الله .

وهناك آيات تشـير الى تبديل التوراة نفسها كما هـو مشاهد عنـد من يقرأها منها قوله تعالى : « **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** » (٣) .

وقوله تعالى : « **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعـد ما عقلوه وهم يعلمون** » (٤) .

أما قوله تعالى : « **وعندهم التوراة فيها حكم الله** » (٥) .

---

(١) المائدة : ٤٤ (٢) آل عمران : ٧٨
(٣) النساء : ٤٦ (٤) البقرة : ٧٥
(٥) المائدة : ٤٣

وقوله تعالى : « **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين** » (١) .

وقوله تعالى : « **قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم** » (٢) فان ذلك كله يدل على بقاء حكم الله فيهما .

لذلك أفتى فقهاء الحنفية بأنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث ، وكان الصحابة ومنهم ابن عباس يسألون أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار عما أجمل القرآن من قصص الأنبياء الماضين وأخبارهم .

غير أنهم لا يسألونهم عما يتصل بالعقيدة والأحكام الا ما كان استشهادا وتقوية لما جاء به القرآن وقد أذن القرآن بذلك بقوله تعالى :

« **فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** » (٣) .

على أن الرجوع الى أهل الكتاب على نوعين :

الاول : سؤال علماءهم الذين يجيبون بالتلمود والآراء

---

(١) آل عمران : ٩٣ (٢) المائدة : ٦٨
(٣) يونس : ٩٤

مثل الفتاوى ولعل هـذا يتفق مع قوله « لا تصدقوا أهـل الكتاب ولا تكذبوهم » كما فى البخارى •

الثانى : الرجوع مباشرة الى نصوص التوراة والانجيل ونقل ما لا يعلم كذبه خصوصا فيما يتعلق بأخبار الأنبيـاء الماضين الذين أكثرهم من بنى اسرائيل •

* * *

● كثرة الأنبياء فى بنى اسرائيل :

قال تعالى : « **واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** » (١) •

وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ان رسول الله ﷺ قال : « بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعـة آلاف الى بنى اسرائيل وأربعـة آلاف الى سـائر الناس » •

وفى رواية أخرى « بعثت على اثر ثمانية آلاف نبى منهم أربعـة آلاف من بنى اسرائيل » •.

ومهما تكلم العلمـاء فى تضعيف هذين الحديثين فانهم لا ينكرون كثرة الأنبيـاء فى بنى اسرائيل لأن أكثر الأنبيـاء المذكورين فى القرآن كانوا من بنى اسرائيل •

لهذا كان يرجع السلف الى علمائهم فى معرفة مبهمات

---

(١) المائدة : ٢٠

القرآن من أسماء أنبيائهم ، وهناك جملة من الأنبياء لم يتعرض القرآن ولا الحديث لذكرهم اطلاقا ولكن التوراة والأخبار المتواترة عند أهل الكتاب صرحت بهم مثل شـمويل وحزقيل وشـعياء وأرمياء ودانيال وأمثالهم من الذين آمن السلف الصالح بنبوتهم وليس لهم مرجع فى ذلك الا أهل الكتاب .

أما الامام ابن حزم فى كتابه « الفصل » فقد أنكر نبوة عـدد من أنبياء بنى اسرائيل حيث قال : « اننا لا نقطع بصحة نبـوة « شـمويل وحقاى وحبقوق » وسـائر الأنبيـاء من بنى اسرائيل الذين لم يذكرهم نص من الكتاب والسنة ولكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم وان لم يكونوا أنبياء فلا ندخل فى أنبياء الله من ليس منهم بأخبار اليهـود والنصارى الكاذبة فنحن نؤمن بالأنبياء جملة » .

نعم يجب الاحتراز من قبول قولهم لأن النبوة قد التبست بغيرها عندهم ، ولكن ينبغى أن يكون الرفض والقبول مبنيا على قاعدة ثابتة منها أن كل من نسبوا اليه كتابا واشتمل الكتاب على الدعوة الى الله وارشاد الناس الى الصلاح وسموه نبيا فلا بأس بقبوله ، اذ لا نرى بأسا فى تصديق التوراة والانجيل فيما ذكرا من الأنبياء الذين دعوا الى الله والى الصلاح والتقوى فان هـذا التصـديق أقرب احتياطا للايمـان المأمور به فى قوله تعـالى : **« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى**

ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحـــد منهم ونحن له مســـلمون » (١) .

وفى قوله تعـــالى : « **لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا ســـمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير** » (٢) .

حيث لا يترتب على الايمـــان بهم ترك العمل بشريعـــة الاسلام الى العمل بشريعتهم ان كانوا أهل شريعة . أو لم نؤمر باتباع شريعتهم ولم نطالب بهـــا فشريعتنا ناسخة لمـــا قبلها . فلا مانع من قبول أنبيائهم كأنبياء لله .

* * *

● **كثرة الأنبياء فى بنى اسرائيل ليس دليلا على الخير :**

زعم بعض المدعين أن كثرة الأنبياء فى بنى اسرائيل دليل على صدق دعواهم أنهم شعب الله المختار كما يقولون وأن القرآن اعترف بذلك فى قوله تعالى : « **يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين** » (٣) .

وقوله تعالى : « **اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين** »(٤) .

---

(١) البقرة : ١٣٦ — (٢) البقرة : ٢٨٥

(٣) البقرة : ٤٧ ، ١٢٢ — (٤) المائدة : ٢٠

فالجواب : ان كثرة الأنبياء فيهم ليس دليلا على أنهم أخيار بل على أنهم أشرار لذلك تتابع الأنبياء فيهم و **« كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون »** (١) .

ومصداقه ما جاء فى « انجيل متى » الباب التاسع « لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى » بمعنى لا يحتاج الأخيار الى الأنبياء بل الأشرار .

أما القول بأن الله فضلهم على العالمين انما فضل الله بعض الناس على بعض بالتداول فى كل أمة وفى كل زمان ومكان ولا يكون ذلك الى الأبد وتلك الأيام يداولها الله بين الناس .

وأين كان هؤلاء من قوله تعالى : **« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم »** (٢) .

ومن قوله تعالى : **« قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل »** (٣)

وما فخر قوم جمع الله عليهم البركات واللعنات كما هو واضح فى الاصحاح الثامن والعشرين من «التثنية» وفى غيرها

---

(١) المائدة : ٧٠ (٢) المائدة : ٧٨
(٣) المائدة : ٦٠ .

من اصحاح التوراة ، ومثله ما جاء في « انجيل متى » الاصحاح الحادى والعشرين :

« لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هـذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليـه يسـحقه » .

- هـذا دليل على أن النبوة قد انتزعت من بنى اسرائيل وأعطيت خير بنى اسماعيل : محمد ﷺ ، وأن البركة التى فضلهم الله بها على الناس قد خرجت منهم .

* * *

● التباس نبوة بنى اسرائيل بما يشابهها :

ان كثرة الأنبياء فى بنى اسرائيل جرت الى ظهور المتنبئين فيهم كما جرت الى التباس الأنبياء بأولياء الله منهم ، وكذلك دعت الى التباس المرسلين من الله الى الناس بالواعظين الذين يحيون دعوة الرسل من بعدهم أيام الفترة ، يظهر كل ذلك جليا فى نصوص التوراة .

ومما يدل على ظهور المتنبئين فيهم ما جاء فى البـاب الثالث عشر من « التثنية » :

«اذا قام فى وسطك نبىأو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية والأعجوبة التى كلمك عنها قائلا لتذهب وراء

آلهة أخرى لم تعرفها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم »

وفى السفر المذكور فى الباب الثامن عشر :

« أما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوص أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهـة أخرى فيموت ذلك النبى وان قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل لطغيان تكلم به النبى » •

وفى الاصحاح السابع من « انجيل متى » :

« احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم » •

ومن شواهد التباس الوعاظ والمرشدين بالأنبياء والمرسلين أنهم لمـا أسسوا مدرسة لتخرج الدعاة الى الله سموها مدرسة لتعليم النبـوة •

يقول الأستاذ رشيد رضا فى الوحى المحمدى : « ان صمويل قد بنى مدرسة لتعليم النبـوة فى الأمة وسمى تلاميذها بنى الأنبياء وأنها تأسست مدارس أخرى للأنبياء فى بيت ايل وأريحا والجلجال وكان يدعـى رئيس هـذه المدرسـة أبا وسـيدا ، وكانوا يتعلمون فى هـذه المدارس تفسـير التوراة والموسيقى والشعر » •

* * *

ومن شواهد التباس الأنبياء بالأولياء عندهم ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد : ان العبرانيين كانوا يستعملون كلمة الناظر أو الرائى أو رجل الله أو الكاهن ، لقاء كلمة النبى عند العرب وأنهم أخذوا كلمة «النبى» عن العرب بعد موسى وصاروا يطلقونها كما يطلقها العرب » .

(قلت) : ثم ان نقل الكلمة من لغة الى أخرى فى ترجمة التوراة والانجيل لعب دورا كبيرا فى التباس النبوة بما يشابهها .

يقول الأستاذ العقاد فى كتابه « أبى الأنبياء » :
« كلمة النبى عربية لفظا ومعنى ، والمعنى الذى تؤديه الكلمة لا تجمعه كلمة واحدة فى اللغات الأخرى فهى تجمع معانى الكشف والوحى والانباء بالغيب والانذار والتبشير ، وهى معان متفرقة تؤديها اللغات الحديثة بكلمات متعددة .

فالكشف فى الانكليزية تؤديه كلمة « Revelation » والوحى تؤديه كلمة « Inspiration » ، واستطلاع الغيب تؤديه كلمة « Oracle Divination » .

فاللغة العربية غنية جدا بكلمات العرافة والعيافة والكهانة من الكلمات التى لا تلتبس بمعنى النبوة كما تلتبس فى الألسنة الأخرى » .

* * *

الفصل الرابع

النبوة والرسالة عند أهل الإسلام

- صفات الرسل وصفات الأنبياء .
- نبوة النساء .
- هل يوجد نبى مسلوب ؟
- هل بلعام بن باعواء نبى مسلوب .. أو عالم ملعون ؟
- نبوة الجن .
- نبوة الملائكة .
- فى كل أمة نبى أو رسول .
- اختصاص النبوة لمنطقة معينة .
- بين النبوة .. والعلم .. والحكمة .
- العلاقة بين النبوة .. والعلم .
- وظائف الأنبياء .
- دليل ختم النبوة .
- جواز الخطأ والنسيان على الأنبياء .
- جواز تعلم الأنبياء قبل مبعثهم .
- المتنبؤن .
- بين النبوة والولاية ..

النبوة والرسالة عند أهل الاسلام

استنبط علماء الاســلام من خلال تاريخ الرسل المذكورين فى القرآن ــ وهم خمسة وعشرون ــ شروطا للرسالة والمرسلين ثم أطلقوها للنبــوة والأنبياء •

غير أن هــذه الشروط حسبما يدل عليــه ظاهر النصوص لا تنطبق على الأنبياء وانما تنطبق على المرسلين ، وهذه الشروط معروفة عنــد علماء التوحيــد والتفسير كما يلى : البشريــة والذكورية والحرية والعصمة والتأييد بالمعجزة وكونها هبــة من الله غير مكتسبة والبلوغ وعــدم سؤال الأجر على التبليغ • وليس فى هــذه الشروط ما ينطبق على النبوة تمام الانطباق غير البشرية لقوله تعالى : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رســولا** » [1] •

وبشرط البشرية للنبوة يخرج كل ما أوحى الله اليه من الدواب والجمادات بخلاف الملائكة لأن الله تعــالى يقول : « **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** » [2] ولا تكون الملائكة رسلا ، اذ لم يكونوا أنبياء حسب القاعدة السابقة لهذا فالبشرية شرط للنبوة والرسالة معا •

أما اشتراطها للرسالة فلأن الكفار قد أنكروا أن يكون

---

(١) الشورى : ٥١ (٢) الحج : ٧٥

الرسول بشرا ((**قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة**)) [1] .

وكأنهم يحتجون بأن علو شأن الملائكة وشدة بطشهم يجعل الخلق منقادين اليهم ولا يشكون في رسالتهم فأجاب الله تعالى ذلك بقـــوله : ((**ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون**)) [2] .

أما الذكورية فليست لازمة للنبوة بل هى لازمة للرســالة لقوله تعالى ((**وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم**))[3]

وذلك صريح فى الرســالة دون النبــوة ولم يرد نص فى الكتاب والسنة يمنع نبوة النســاء غير ما حملوا على هــذه الآية ولا تحتملها .

أما العصمة فهى أيضا فى الرســالة لا فى النبــوة وهى حفظ الرسل من الوقوع فى الكبائر من المعاصى لأنهم بمكان الاقتــداء لقوله تعــالى فى الأنعام ((**أولئك الذين هــدى الله ، فبهداهم اقتده**)) [4] والاشــارة هنا الى المرسلين لا الى غــيرهم .

ومثلها قوله تعالى : ((**قد كانت لكم أسوة حســنة فى ابراهيم والذين معه**)) [5] .

---

(١) فصلت : ١٤ (٢) الانعام : ٨ ، ٩

(٣) يوسف : ١٠٩ ، النحل ٤٣ (٤) الانعام : ٩٠

(٥) الممتحنة : ٤

ومثلها قوله تعالى : « **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين** » [1] •

وقوله تعالى : « **انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار • وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار • واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار** » [2] •

كل أولئك مرسلون ، أما غير المرسلين فربما وقعوا فى ما ظاهره خطيئة وباطنه حكمة ، كما فى قصة آدم والأسباط والخضر •

أما الحرية فهى أيضا شرط فى الرسالة دون النبوة وهى أن يكون الرسل ذوى حسب ونسب من قومهم وذلك مأخوذ من قولهم : « **يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا** » [3]

ومن قولهم لشعيب : « **ولولا رهطك لرجمناك** » [4] •

ومن الحديث القائل : « ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه » ومن قول هرقل لأبى سفيان : « والرسل تبعث فى أحساب قومها » •

أما المعجزة فهى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة مقرونا بدعوى الرسالة مع طلب المعارضة المعبر عنها بالتحدى •

---

(١) يوسف : ٢٤ (٢) سورة ص : ٤٦ — ٤٨

(٣) هود : ٦٢ (٤) هود : ٩١

وفى الحديث : « ما من نبى الا أوتى من الآيات ما على مثله آمن البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الى فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة » (متفق عليــه) ٠

والمعجزة أيضا لازمة للرسالة وليست لازمة للنبوة وذلك لأن جميع الأنبياء الذين أوتوا من الآيات ما على مثله آمن البشر كلهم مرسلون حيث قد أيد نوح بالسفينة وأيد صالح بالناقة وأيد ابراهيم ببرد النار وأيد موسى بالعصا وأيد عيسى بابراء الأكمه والأبرص وأيد محمد ﷺ بالقرآن ٠

أما عدم سـؤال الأجر على التبليغ فهو أيضا من خصائص الرســالة كما جاء فى حكاية عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب فى سورة الشعراء مكررا « **انى لكم رســول أمين ٠ فاتقوا الله وأطيعون ٠ وما أسألكم عليــه من أجر ، ان أجرى الا على رب العالمين** » (١) ٠

أما كون الرســالة هبة لا تنال بالكسب فهو أيضا من خصائص الرســالة لقوله تعــالى : « **الله أعلم حيث يجعل رســالته** » (٢) ٠

وقــوله تعــالى : « **ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم** » (٣) ٠

---

(١) الشعراء : ١٠٧ — ١٠٩ ، ١٢٥ — ١٢٧

(٢) الانعام : ١٢٤ (٣) الانعام : ٨٧

أما كون النبوة والرســالة تنال بسؤال الله من رســول الله لمن يؤيده وينصره فى أداء الرســالة فواضح من قصــة ابراهيم حيث قال تعــالى : « **انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين** » (١) فكأنما قال نعم ، ولكنه لا ينال الظالمين بل ينال الصالحين منهم وكذلك ما ورد فى قصة موسى وهارون حيث قال تعــالى : « **واجعل لى وزيرا من أهلى • هارون أخــى • اشــدد به أزرى • وأشركه فى أمرى** » (٢) الى قوله تعالى : « **قد أوتيت سؤلك يا موسى** » (٣)

وكذلك سؤال زكريا حيث قال : « **فهب لى من لدنك وليا • يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا** » (٤) •

وكذلك ما ورد فى قصة عيسى مع الحواريين اذ أن عيسى اختارهم رسلا له فقبلهم الله مرسلين من عنده •

أما البلوغ فقد اختلف العلماء فى شرطيته للرسالة لمـا ورد فى شأن يحيى من قوله تعالى : « **وآتيناه الحكم صبيا** » (٥) •

ومثله فى شأن عيسى من قوله تعالى : « **ويكلم النــاس فى المهد وكهلا** » (٦) •

* * *

(١) البقرة : ١٢٤
(٢) طــه : ٢٩ — ٣٢
(٣) طــه : ٣٦
(٤) مريم : ٥ ، ٦
(٥) مريم : ١٢
(٦) آل عمران : ٤٦

● **صفات الرسل وصفات الأنبياء :**

لقد قرر علماء الكلام أنه يجب اثبات أربع صفات للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وهى الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة •

ومنذ قرر العلماء اثبات هذه الصفات للرسل جعلوها من خصائص الرسالة والرسل ، ثم جعلوها من خصائص النبوة والأنبياء •

أما الصدق فهو الاخبار بما يطابق الواقع فى دعوى الرسالة وفى الأحكام التى يبلغونها وفى الكلام العادى ودليل صدقهم قوله تعالى : « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل • لأخذنا منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من أحد عنه حاجزين** » (١) •

وقوله فى الحديث القدسى : « صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى » •

أما الأمانة : فهى حفظ ما أودعهم الله من الأحكام حتى يبلغوها كاملة غير منقوضة ولا مبدلة : « **قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، ان أتبع الا ما يوحى الى** » (٢) •

وقوله تعالى : « **وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى** » (٣) •

---

(١) الحاقة : ٤٤ ــ ٤٧ (٢) يونس : ١٥
(٣) النجم : ٣ ، ٤

أما الفطانة : فهى الذكاء ورجاحة العقل ، ويشهد لفطانة الرسل آيات كثيرة منها قوله تعالى : « **وجادلهم بالتى هى أحسن** » (١) ومنها قوله تعالى : « **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** » (٢) والجدال لا يكون الا مع كمال العقل وقوة الحجة .

أما التبليغ : فهو أداء ما حملوا من الشرائع والأحكام الى الناس ، ويشهد له قوله تعالى : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا** » (٣) .

ويستحيل على الرسل أضداد هذه الصفات وهى الكذب والخيانة والكتمان والبلادة ، ولنكمل الموضوع بما يجوز عليهم من الأعراض البشرية التى لا تؤدى الى النقص .

منها الزواج ، لقوله تعالى : « **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية** »(٤) .

ومنها البيع والشراء والأكل والشرب ، لقوله تعالى : « **وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق** » (٥) .

---

(١) النحل : ١٢٥
(٢) هود : ٣٢
(٣) الجن : ٢٦ — ٢٨
(٤) الرعد : ٣٨
(٥) الفرقان : ٢٠

ويجوز عليهم الخطأ فيما لم ينزل فيه الوحى لقوله تعالى : **« عفا الله عنك لم أذنت لهم »** (١) .

ويجوز عليهم النسيان لقوله تعالى : **« سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله »** (٢) .

ويجوز عليهم تعلمهم علوم الدنيا قبل بعثتهم لما رواه السيوطى فى الانتقان عن ابن فورك : «انه أنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبى يكتب ويقرأ وهو موسى وأنزل القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبى أمى » .

ويجوز عليهم المرض الخفيف والموت لقوله تعالى : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم »** (٣) .

وقوله تعالى : **« وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين »** (٤) .

* * *

● **« منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك »** (٥) :

سأل سائل عن الحكمة فى ايراد قصة الأنبياء دون بعض فى القرآن وأجيب على ذلك بأجوبة منها أن قصة الرسل الذين بعثوا الى الناس جميعا يصعب استيعابهم فى معرض

---

(١) التوبة : ٤٣
(٢) الأعلى : ٦ ، ٧
(٣) آل عمران : ١٤٤
(٤) الأنبياء : ٨
(٥) غافر : ٧٨

العبرة المقصودة من عرض القصـــة التى تذكر لضرب المثل وتذكير الناس بأيام الله وتسلية النبى فيما يقاسى من أعباء الرســالة •

ومنها أن يرتد قوم ذلك الرسول حتى لا يبقى فيهم أثر الرســالة أو أن يتخذوا أنبياءهم أربابا يعبدونهم من دون الله فلا فائدة فى ذكر قصتهم قال تعالى : « **تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشــيطان أعمالهم فهو وليهم اليــوم** » (١) •

أو أن يكون أولئك الأمم مجهولين عند العرب ولا داعى للاستشهاد بالمجهول •

ومما جاء فى ذلك فى تفسير المنار ما نصه (٢) :

« ورسلا لم نقصصهم عليك كالمرسلين الى الأمم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك كأمم الشرق « الصين واليابان والهند » ، وأمم بلاد الشمال « أوروبا » وأمم القسم الآخر من الأرض « أمريكا » ، ولم يقصص الله تعالى عليــه خبر الرسل الذين أرسلهم الى أولئك الأقوام لأن حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم لا تتحقق بقصص أولئك المجهول حالهم وحال أممهم عند قومه وجيران بلاده من أهل الكتاب •

* * *

(١) النحل : ٦٣ (٢) تفسير المنار ، ج ٦ ، ص ٧٠

● نبوة النســاء :

روى عن أبى الحسن الأشعرى أن الجمهور من علماء الكلام والتوحيد وعلماء السنة والجماعة ذهبوا الى نفى النبوة عن النســاء مستندين الى قوله تعالى : « **وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم** » (١) .

وعليه صاحب بدء الأمالى :

وما كانت نبيـــا قط أنثى ولا عبداً وشخصا ذا فعال(٢)

أما ابن حزم الأندلسى فقد رد على هــذا القول بأدلة لغوية علمية وقال :

« ان الآية وردت فى نفى الرسالة عن النساء لا فى نفى النبوة ، وأوضح أن لفظة النبوة فى اللغــة العربية التى أنزل الله بها القرآن مأخوذة من الانباء وهو الاعلام ، فمن علمه الله بما يكون بوحى أو بملك فهو نبى بلا شك وليس هــذا من باب الالهــام الطبيعى كوحى الله الى النحل ولا من باب الظن والتخمين كوحى الشياطين الى الناس بل الوحى الذى قصد الله به اعلام من يوحى اليه بما يعلمه ليعمل به ، وقد جاء فى القرآن أن الله أرسل ملائكة الى عــدد من النســاء فأخبرتهن بوحى

---

(١) النحل : ٤٣

(٢) قال على القارى فى شرحه على هــذا البيت : وقد وقع الاختلاف فى وقوع نبوة اربع نسوة : مريم وآسية وسارة وهاجر ، وزاد ابن الملقن فى شرحه لعمدة الأحكام : حواء وأم موسى .

من الله على مثل ما يوحى الله الى سـائر الأنبياء والمرسلين من الرجال ، وذكر ابن حزم سارة أم اسحاق وأم موسى ومريم أم عيسى كأمثلة لذلك » •

وزاد بعض العلماء حواء وهاجر وآسية وجمع ذلك فى أبيات نظما وقال :

قيـل تنبأت من النسـاء … ست فهاكهـا على الـولاء
حوا وسـارة يوخانذ كـذا … هاجر آسـية مريم خـذا
دليـل ذا من الكتـاب وقعا … لأم موسى ولمـريم معـا
ومن يقل بعكس ذا قد استدل … لنفيـه بقـوله عـز وجـل
ان الذى أرسل قبل أحمدا … رجال أوحى اليهم الهـدى
وان وحيهـن الهـام وقع … من ربنا كما الى النحل صنع
ورد ذا القول بقـول المدعى … نبـوة فهى هنا ما امتنعـا

أما دليل نبـوة حواء فلأن الله كلمها مع زوجهـا فى قوله تعالى : **«ويا آدم اسـكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين»** (١) •

ثم فى قوله تعالى : **« وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشـيطان لكما عدو مبين • قالا ربنـا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »**(٢)

فاذا كان آدم نبيا لأن الله كلمه كما فى الحديث فان حواء نبية لأن الله كلمها مع زوجها كما دل عليه نص الآية •

---

(١) الأعراف : ١٩ (٢) الأعراف : ٢٢ ، ٢٣

أما دليل نبوة سارة أم اسحاق ففى قوله تعالى : **« وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب • قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ، ان هذا لشىء عجيب • قالوا أتعجبين من أمر الله ، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد »** [1] •

أما دليل نبوة يوخانذ أم موسى ففى قوله تعالى : **« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »** [2] • فتحقق كل ذلك الوحى الذى جاءها مثل الوحى الذى جاء ابراهيم فى ذبح اسماعيل •

قال الشوكانى : وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وانما كان ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى كما فى الصحيحين ، وأن عمران بن الحصين تسلم عليه الملائكة •

فيرد ذلك بأن حديث الثلاثة من أحاديث بنى اسرائيل الجائز نقلها على سبيل الحكايات والأمثال لا على سبيل العقيدة والتشريع حتى ولو كان واقعيا فلا يمكن أن ينهض مساويا لما أخبر الله به تعالى فى كتابه العزيز أنه أوحى الى بشر أو أرسل اليه ملكا وأنبأه بما سيحدث فكان حقا ، ولا يخفى أن هناك

---

(١) هود : ٧١ ــ ٧٣ (٢) القصص : ٧

فرقا بين مجرد رؤية الملك وسماع كلامه ، وبين رؤية الملك يأتى بوحى من الله ، وقد رأى الصحابة جبريل حيث أتاهم يعلمهم دينهم ولم يأتهم بوحى ، والى هـذا النوع يكون رؤية الملائكة من الأقرع والأعمى والأبرص . وقد قيد القرآن ذلك بقوله « أو يرسل رسـولا فيوحى باذنه ما يشاء » [1] .

أما دليل نبوة مريم أم عيسى ففى قوله تعالى : « واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نسـاء العالمين . يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »[2] الى قوله تعالى : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسـيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيـا والآخرة ومن المقربين » [3] .

وجـاء اصطفاء الله مريم كاصطفاء الله الرجـال فى قوله تعـالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيـم وآل عمران على العالمين » [4] .

ثم ان الله تعالى ذكرها فى جملة الأنبياء فى سورتهم بقوله تعـالى : « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » [5] .

---

(١) الشورى : ٥١
(٢) آل عمران : ٤٢
(٣) آل عمران : ٤٥
(٤) آل عمران : ٣٣
(٥) الأنبياء : ٩١

ثم ان الله خصص لها سورة كمـــا خصص سورة لنوح وابراهيم ويوسف وهود ولقمان ويونس ومحمد وقال تعالى فى سورة مريم :

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا • قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال انما أنا رســـول ربك لأهب لك غلاما زكيا • قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا • قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا » [1] •

قال ابن حزم : أما قوله تعـــالى : **« وأمه صديقة »** [2] فلا يمنع ذلك من نبوتها وقد وصف الله كثيرا من الأنبياء بأنهم صديقون •

أما دليل نبوة آســـية امرأة فرعون فلم أجد فى القرآن أكثر من أن الله ذكرها مقرونة مع مريم فى قوله تعـــالى : **« وضرب الله مثلا للذين آمنـــوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنـــة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين »** [3] •

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النســـاء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون

(١) مريم : ١٦ — ٢١ (٢) المائدة : ٧٥
(٣) التحريم : ١١

وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النســاء كفضل الثريد على سائر الطعام » •

وإذا كان الكمال للرجال لا يكون لغير الأنبياء والمرسلين فالكمال فى النساء لا يكون كذلك الا للنبيات وذلك فيما قبل ختم النبوة ، أما بعد ختم النبوة فالكمال يكون فى الدرجة الصديقية •

أما دليل نبوة هاجر فلم أجد شــيئا فى القرآن يؤيدها غير ما ورد فى قصتها مع ابنها اسماعيل فى واد غير ذى زرع حيث فقدت المــاء وعطش ولدها وجعلت تسعى بين الصــفا والمروة ، تصعد على الصفا تارة وعلى المروة أخرى ، فشرع الله علينا أن نستن بسنتها فى هــذا السعى الى الأبد وتلك فضيلة أعظم من أن يتفضل الله بها على امرأة غير فاضلة •

هــذا ولقد وصفت التوراة عددا من النســاء بوصف النبوة منهن من ذكرنا ، كما ذكر الانجيل عددا من النبيات •

* * *

● هل يوجد نبى مسلوب ؟ :

فى القرآن آيات عديدة تحذر النبى محمد ﷺ والأنبياء قبله من الانحراف عما جاءهم من العلم وتوعدهم أنهم ان فعلوا صاروا من الخاسرين •

فقد قال تعــالى بعد سرد أســماء الأنبيــاء اثر آية

« **وتلك حجتنا** » (*) : « **ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم • ذلك هدى الله يهدى به من يشــاء من عبــاده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** » (١) •

وقال أيضا « **ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** » (٢) •

وقال أيضا : « **ولولا أن ثبتناك لقــد كدت تركن اليهم شــيئا قليلا • اذن لأذقناك ضعف الحيــاة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** » (٣) •

وقد أنكر العلماء سلب نبى من الأنبياء ، وقالوا ان ذلك ينافى قوله تعالى : « **الله أعلم حيث يجعل رســالته** » (٤) لأن السلب يوجب البداء على الله وهو محال •

وأنا أقول : ان الآية التى احتجوا بها نصت على الرسالة ولم تنص على غــيرها والا فكيف يفسرون قوله تعــالى : « **الذى آتينــاه آياتنا فانسلخ منهــا** » (٥) أليست النبــوة من الآيات ؟

وفى « البداية والنهــاية » ما رواه مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس : أن عزيرا كان يذكر مع الأنبياء حتى محى الله اسمه

(*) الأنعام : ٨٣ •
(١) الأنعام : ٨٧ ، ٨٨
(٢) الزمر : ٦٥
(٣) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥
(٤) الأنعام ١٢٤
(٥) الأعراف : ١٧٥

من ذلك حين سأل ربه عن القدر ، ثم قال الحافظ ابن كثير : وهذا ضعيف ومنقطع ومنكر •

وجاء فى البداية والنهاية ـ برواية أخرى عن عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد ـ : « أن عزيرا قال فيما يناجي ربه : يارب تخلق خلقا فتضل من تشاء وتهدى من تشاء » فقيل له : أعرض عن هـذا • فعاد ، فقيل له : لتعرضن عن هـذا أو لأمحون اسمك من الأنبياء •• انى لا أسئل عما أفعل وهم يسئلون » •

قال ابن كثير : وهـذا لا يقتضى وقوع ما توعد عليه لو عاد فما محى اسمه •

* * *

● هل بلعام بن باعور نبى مسلوب •• أو عالم ملعون ؟ :

ذهب أهل التفسير المأثور الى البحث عمن نزلت فيه هـذه الآيات « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » [1] •

وأفضلهم عندى من قال انها نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى قيل انه كان شاعرا حنفيا قبل الاسلام ثم خرج الى البحرين وتنبأ رسول الله أثناء ذلك ثم قدم فلقى رسول الله

(١) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦

ﷺ فى جماعة من أصحابه فدعاه النبى الى الاســلام وقرأ عليه سورة « يس » حتى فرغ منها ووثب أمية يجر رجليه فتبعته قريش تسأله : ما تقول يا أمية ؟ قال : أشــهد انه على الحق قالوا : فهل نتبعه ؟ قال : حتى أنظر فى أمره ، ثم خرج الى الشــام وقدم بعد وقعة بدر يريد أن يسلم فلما أخبر بقتلى بدر ترك الاســلام ورجع الى الطائف فمات بها .

(قلت) : هــذه واقعة وقعت بين يدى الصحابة والقرآن يُنزل فلا يحتاجون فيها الى مصدر أو مرجع غير ما شاهدوا ، ثم صــارت الآية محمولة على كل من أعطــاه الله من آياته وكتابه فانسلخ منها فجعله مثل الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له حيث انه ترك الهدى وصار ضالا .

وذهب أهل الاسرائيليات وهم علماء اليهود والنصارى الذين أســلموا وصاروا يحاولون تطبيق آيات القرآن على ما عندهم حذو النعل بالنعل ، ذهبــوا الى أن هــذه الآيات نزلت فى رجل كان اسمه بلعام وكان يحسن اسما من أسماء الله فغزاهم موسى فى سبعين ألفا ، فجاءه قومه فقالوا : ادع الله عليهم وكانوا اذا غزاهم أحد أتوه فدعا عليهم فهلكوا وكــان لا يدعو حتى ينام فينظر ما يؤمر به فى منامه فنام فقيل له : ادع الله لهم ولا تدع عليهم فاستيقظ فأبى أن يدعو عليهم فقال لهم : زينوا لهم النساء فانهم اذا رأوهن لم يصبروا حتى يصيبوا من الذنوب فتدالوا عليهم » اهـ .

(قلت) : هــذه أوجز وأحسن رواية وهنــاك روايات أطول وأسوأ •

قال صاحب المنار بعد ايراد هــذه القصة :

ذلك ما لخصه السيوطى عن رواة التفسير المأثور وكله مما انخدع به بعض الصحابة والتابعين من الاسرائيليــات ان صحت الروايات عنهم •

(قلت) : يوجد أربع مخالفات بين ما ينقل مباشرة من التوراة حتى المحرفة الموجودة الآن وبين ما يروى عن علماء بنى اسرائيل مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه •

وذلك لأن فى التوراة التى بأيدينا اليــوم فى سفر العدد (الاصحاح ٢٢ ــ ٢٤) : أن بلعام نبى كان يتلقى الوحى من الله حيث قال : « وحى بلعام بن بعور وحى الرجل المفتوح العينين وحى الذى يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلى الذى يرى رؤيا القدير ساقطا وهو مكشوف العينين » •

(قلت) : ولا ندرى من أين أدرك رواة القصة أنه ليس نبيا بل هو عالم يحسن الاسم الأعظم •

ثانيا : ان رواة القصة قالوا ان بلعام من علماء بنى اسرائيل •

وفى التوراة ان القصة وقعت فى عربات معراب وأن بالاق ملك المعرابين هو الذى طلب من بلعام أن يلعن بنى اسرائيل لينتصر عليهم •

ثالثا : ان رواة القصة قالوا ان بلعام أمر قومه أن يغزوا بنى اسرائيل بالزنا ويعرضوا نساءهم عليهم وليس فى التوراة

ســند لذلك وان جاء فيها أن بنى اسرائيل وقعوا فى الزنا بأنفسهم كعادتهم فى الوقوع فى المآثم •

رابعا : فى التوراة أن بلعام كان يدعو لبنى اسرائيل ولم يدع عليهم حتى غضب عليــه بالاق فرد عليــه بلعام انه انما يجرى على لســانه ما أراد الله أن يفعل •

خامسا : ان رواة القصــة قالوا : اندلع لســان بلعام أو صار كلبا يلهث ، وفى التوراة انه رجع الى مكانه ســالما ولم يصبه شيء •

قال صاحب المنار بعــد عرض هــذه الاسرائيليات عن ابن عســاكر :

أقول : ان هــذا الحافظ ــ ابن عساكر ــ كان مطلعا على التوراة التى فى أيدى أهل الكتاب وهى عين التى بين أيدينا الا ما فى اختلاف الترجمات القديمة والحديثة من الفروق وهى وان كان فيها اختلاف فى المعانى فلن يصل الى الحد الذى فى روايات وهب وكعب وغيرهما من رواة الاسرائيليات الكاذبة •

ثم قال صاحب المنار :

ولو ذكر القرآن أن الرجل الذى آتاه الله آياته هو بلعام هذا ، أو صح هذا فى خبر مسند متصل عن النبى لكان صحيحا •

ولكن يجب أن نعلم من أين جاء وهب بهذه القصة وهو لم يكن الا راويا لما عند أهل الكتاب ، وما قاله مخالف لما عندهم » (١)•

---

(١) الجزء التاسع ص ٤١٤ وما بعدها •

(قلت) : ان صح ما نسب الى وهب وكعب من قصة بلعام أنه نبى مسلوب أو عالم مسلوب انما يكون ذلك من عقابيل عصبية اليهود الذين ينكرون أن يؤتى الله نبوة أو حكمة أو علما لغير بنى اسرائيل ولا يرتاجون حتى يروه مسلوبا •

ونحن ازاء هـذه القصة بين ثلاثة أمور :

الأول : اما أن نقبل قصة بلعام كما هى فى التوراة التى بين أيدينا : أن بلعام نبى طلب منه قومه أن يدعو على بنى اسرائيل ونهاه الله أن يفعل فلم يفعل ولم يسلب •

الثانى : واما أن نقبل أنه كان نبيا من غير بنى اسرائيل دعا على موسى فاندلع لسانه وصار كالكلب يلهث حسبما فى الاسرائيليات فهو بذلك نبى مسلوب •

أما انه ليس بنبى بل هو عالم ، فليس له أصل فى القرآن والحديث والتوراة •

* * *

● نبـوة الجن :

الجن نوع من خلق الله مخلوقون من نار لهم حركات أثيرية سريعة خاطفة يستترون عن أعين الناس ويتشكلون بأشكال رهيبة يسكنون أعالى الجبال والأشجار والصحارى والبيوت المخربة •

وقد قال القرآن حاكيا عنهم بقوله تعـــالى : « **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا** » (١) منهم العفاريت والشياطين والتوابع والقرناء ورئيسهم ابليس وله ذرية وأتباع « **انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** » (٢) .

أحدث بعض القصاصين والمفسرين القول بنبــوة الجن متعلقين بظاهر قوله تعالى : « **يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا** »(٣) وبناء على هذا زعموا أن للجن أنبياء كما كانوا للانس وأن أول نبى أرســـله الله الى الجن اســـمه عامر بن عمير بن الجان فقتلوه ثم أرســـل اليهم غيره فقتلوه ولم يزل يرسل اليهم الرسل ولم يزالوا يقتلونهم حتى بلغوا ثمانمائة .

لم يرد فى القرآن والحديث نص يستند اليه هــذا القول وكل ما قال عنهم القرآن أنهم مخلوقون لعبادة الله كالانس ، لقوله تعـــالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » (٤) وانهم مخاطبون بما يخاطب به الانس لقوله تعالى : « **يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار الســـموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان** » (٥) .

وقوله تعالى : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن**

---

(١) الجن : ١١
(٢) الأعراف : ٢٧
(٣) الأنعام : ١٣٠
(٤) الذاريات : ٥٦
(٥) الرحمن : ٣٣

يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١) .

وقد ذكر القرآن أنهم مسخرون للنبى سليمان بن داوود عليهما السـلام « **ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داوود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور »** (٢) .

وذكر القرآن أن طائفة منهم سمعوا القرآن من النبى ﷺ فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين : « **واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعـد موسى مصدقا لمـا بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم »** (٣) .

وروى مسلم وأحمد والترمذى : « أن طائفة منهم سألوا النبى الزاد فدعا الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة الا وجدوا عليها طعاما لأنفسهم وعلفا لدوابهم » .

كل ذلك دليل على أنهم تابعون للانس ومطالبون بمـا يناسبهم من شريعة الانس كما كانت للنساء شرائع فيما يخصهن من الحيض والنفاس وغير ذلك .

---

(١) الاسراء : ٨٨ — (٢) سبأ : ١٢ ، ١٣

(٣) الأحقاف : ٢٩ ، ٣٠

وينكر الماديون وجود الجن ويلجأون الى تأويل النصوص الواردة فيهم تأويلا بعيدا عن معنى اللفظ ويبطلون بذلك ركنا كبيرا من الغيبيات ٠

على أن الايمان بوجود الجن كالايمان بوجود الملائكـــة فانهما ثابتان بالنصوص القطعية من القرآن والحديث فلا سبيل لأحـــد الى انكارهما ٠

وقد أخبر النبى ﷺ أنهم يتشكلون بأشكال الحيات لهذا نهى النبى ﷺ عن قتل الحيات التى فى بيوت المدينة حتى تستأذن ثلاثا الا ذا الطفيتين والأبتر فانهما يخطفان البصر ويطرحان ما فى بطون النســاء ٠

وفى الموطأة عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : انه كان فى بيت قريب منه فتى قريب عهد بعرس فخرج مع رسول الله ﷺ الى الخندق فبينما هو به اذ أتاه الفتى يستأذنه فقــال : يا رسول الله ٠٠ ايذن لى أحدث بأهلى عهدا ، فأذن له رسول الله ﷺ وقال : « خــذ عليك ســلاحك فانى أخشى عليــك بنى قريظة » ، فانطلق الفتى الى أهله فوجد امرأته قائمة بين البابين فأدركته الغيرة فأهوى اليها بالرمح ليطعنها فقالت : لا تعجل حتى تدخل وتنظر ما فى بيتك ٠ فدخل فاذا هو بحية منطوية على فراشه فوكز فيها رمحه ثم خرج بها فنصبه فى الدار فاضطربت الحية فى رأس الرمح فخر الفتى ميتا فما يدرى أيهما كان أسرع موتا : الفتى أم الحية » فذكر ذلك لرسول الله

ﷺ فقال : « ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثا فان بدا بعد ذلك فاقتلوه فانه شيطان » •

أقول : لقد شاهدنا كثيرا من السفهاء الذين قتلوا حيات مدنهم في بلادنا هذه فماتوا لساعتهم ولقد وقع ذلك مرارا وتكرارا حتى لم يبق فيه شك عندنا وذلك مصداق لقول النبي ﷺ ودليل قاطع على وجود الجن [1] •

* * *

● نبوة الملائكة :

الملائكة أو الملأ الأعلى : جواهر نورانية لطيفة منزهة عن الشهوات الحيوانية لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون •

والملائكة طبقات كالبشر منهم رسل الله وفيهم جنوده « **وما يعلم جنود ربك الا هو** » [2] •

---

(١) ذهب احمد بن حابط من تلاميذ النظام الى أن الله بعث في الحيوان لقوله تعالى : « **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** » (الأنعام : ٣٨) ، وقوله تعالى : « **وان من أمة الا خلا فيها نذير** » (فاطر : ٢٤) •

فيرد عليه بأن الوحي الى البشر هو النبوة أما الوحي الى غير البشر فهو الهام طبيعي ، والرسالة لا تكون الا الى الناس لقوله تعالى : « **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** » (النساء : ١٦٥) انظر الفصل لابن حزم •

(٢) المدثر : ٣١ •

ولما قال تعالى : « **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** » (١) .

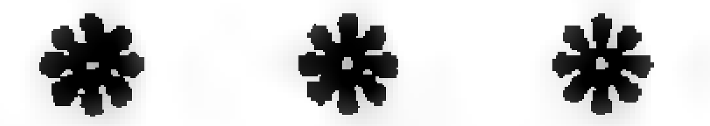
وقال أيضا : « **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء ، ان الله على كل شىء قدير** » (٢) .

فبما أن الرسالة لا تكون إلا بالوحى ثبت يقينا أن رسل الملائكة كانوا أنبياء قبل أن يكونوا رسلا ، وكانوا يتلقون الوحى من الله على ما يناسبهم لقوله تعالى : « **اذ يوحى ربك الى الملائكة** » (٣) .

وروى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه صلصلة على صفوان فاذا « **فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** » (٤) .

وفى رواية على : يأتيهم جبريل فاذا جاءهم « **فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق** » .

وقد مر تفاصيل ذلك فى كيفية نزول الوحى على الملائكة .



---

(١) الحج : ٧٥
(٢) فاطر : ١
(٣) الأنفال : ١٢
(٤) سبأ : ٢٣

● في كل أمة نبى أو رسول :

تكاد التوراة تحصر النبوة فى ثلاث أمم :

الأمة العبرانية التى منها ابراهيم واسحاق ويعقوب .

والأمة العربيـــة التى منها ملكى صادق الذى اسـتقبل ابراهيم راجعـا من حروبه وأعطاه عشرا من غنـائمه وبارك ابراهيم(١) والتى منها يثرون « شعيب أو الخضر » وأيـوب وبلعـام .

والأمة الاسرائيلية التى منهـا موسى وهارون وداوود وسـليمان .

أما القرآن فقد ذكر أن الله تعالى بعث فى كل أمة نبيـا ورسولا وذكر هودا وصالحا وغيرهما من الذين لم يرد ذكرهم فى التوراة والانجيل قال تعالى : **« وان من أمة الا خلا فيها نـذير »** (٢) .

وقال أيضا : **« ولقد بعثنا فى كل أمة رسـولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »** (٣) .

وقال أيضا : **« وكم أرسلنا من نبى فى الأولين »** (٤) .

وقال أيضا : **« ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح**

---

(١) سفر التكوين ــ الاصحاح الرابع عشر ، ورسـالة بولس إلى العبرانيين الاصحاح السابع .

(٢) فاطر : ٢٤ (٣) النحل : ٣٦

(٤) الزخرف : ٦

وعاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات » (١) .

كل هـــذه الآيات تقرر أن النبـــوة والرسالة قد ظهرت فى كل أمة راقية من الأمم القديمة مثل اليونان والفرس والهند ومصر والصين والسودان وربما كانت الديانات الكبرى المشهورة اليوم فى تلك البلاد من بقايا الديانات السماوية كانت صحيحة ثم تلوثت بالوثنية بعد مرور الزمن كالبوذية فى الهند والمانوية والزرادشتية فى فارس ، وكان الفقهاء والمحدثون يرجحون كون المجوس من أهل الكتـــاب لأن النبى أخذ منهم الجـــزية ولا يبيح النبى ﷺ أخذ الجزية الا من أهل الكتاب فلا سبيل الى نزول الكتاب من الله بغير نبى مرسل .

ويرجح مفتى طرابلس أن كثيرا من فلسفة الأقدمين فى مصر والصين والهند هى بقايا نبوات نسيها التاريخ فحشر أصـــحابها فى عداد الفلاســـفة ولعلهم من الرسل أو أتباع الرســـل (٢) .

وما يرجح ذلك أنه كانوا يسمون الأنبياء بأسماء متنوعـــة فى بلاد مختلفة قبل اتصالهم بالعرب وكان العبرانيون يستعملون كلمة الناظر أو الرائي أو رجل الله أو الكاهن لقاء كلمة النبى عند العرب كما فى الاصحاح التاسع فى سفر صموئيل الثانى

---

(١) ابراهيم : ٩ (٢) قصة الايمان ص ٣٧

انما أخذوا كلمة النبى بعــد موسى وصاروا يطلقونها كالعرب ، وكان أكثر أنبياء بنى اسرائيل يعرفون فى التوراة بالحــكماء أو الملوك ويوسف وسليمان عنــد اليهود ملوك وكانوا يصفون أنبياءهم بصــفة الحكمة أكثر من صــفة النبوة •

* * *

● **اختصاص النبوة لمنطقة معينة :**

كتب الكاتب العملاق الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « أبى الأنبياء » تحت عنوان « مدن القوافل » مقالا ضافيا يرد فيه على منكرى وجود ابراهيم مطلقا أو ذهابه الى مكة كما يرد فيه على المتسائلين عن سبب اختصاص الرســالة النبوية ، ولم لم تظهر هــذه الرسالات فى الهند أو فى الصين أو فى القارة الأوروبيــة ؟

أجاب عليهــا باجابات الباحث القدير المحيط بأصــول الفلسفة والتاريخ •

غير أنه تأثر كثيرا بمقارنة الأديان على مذهب التطور الذى لم يسلم من التشكيك فى رسالات الأنبياء ووحى السماء •

وهو حين يرد على الملحدين المنكرين لوجود ابراهيم أو على الذين ينكرون ذهاب ابراهيم الى مكة لبنــاء البيت فتح بابا آخر جديدا للذين ينكرون أن النبوة والأنبياء فضل مشاع للعالم أجمع ، وقد قرر القرآن أن النبــوة لا تختص بأمــة دون أخرى ••

قال العقاد : « فلم تتهيأ النفوس للرسالة النبوية فى حالة قط كما تهيأت لها وهى قائمة بين البداوة والحضارة ولم يعرف التاريخ رسالة نبوية فى الحضارة دون غيرها — أى البداوة — أو فى الصحراء المنعزلة دون غيرها — أى الحضارة — وانما عرفت هذه الرسالات على الدوام فى مدينة حولها صحراء أو فى صحراء على مقربة من مدينة لهذا كانت مدن القوافل وما فى حكمها أحق الأماكن بالدراسة من جانبها هذا الذى يرشحها لقيام الدعوات الدينية .

ثم قال : ان القطر الذى تتصل فيه الحضارة وتتلاحق فيه مظاهر العمران يعطينا المتشرعين والكهان ولا يعطينا الأنبياء المرسلين أو الرسل .

ففى هذا القطر يسرى العرف وترتقى العادات الاجتماعية ويستقر نظام القانون والمعاملة وقد يتقدم أهله الى ادراك العقائد الدينية من طريق تقدم المجتمع وتقدم الثقافة ومعاهد التعليم .

الى أن قال : فليست دعوة النبوة بالدعوة التى تشيع وتجتذب اليها الأسماع فى مواطن الحضارة القديمة بعد استقرار العمران .

واذا شاع الفساد فى مواطن الحضارة فالمسألة فى هذه الحالة مسألة تشريع وقانون ومسألة تنظيم وتدبير » .

قلت : فى هــذا الكلام اشـــارة من طرف خفى الى أن الحضـــارة يمكن أن تستغنى عن النبوة والديانة على نحـــو ما يزعم المتطورون والملحدون •

ثم قال : لحكمة بالغة قال النبى ﷺ : « ما من نبى الا وقد رعى الغنم » ولحكمة بالغة قامت مدينة القوافل بدورها فى تاريخ بنى الانســان فنشأ الحكماء والنساك فى الصين والهند ولم ينشأ فيهم الأنبياء والمرسلون والرسل المجاهدون •

وأنا أقول : لا نســلم لهــذا الرأى لأنه غير صــحيح للبراهين الآتية :

الأول : لقد قرر القرآن أن الله تعالى بعث فى كل أمة رســولا وقال « **وان من أمــة الا خلا فيهــا نذير** » (١) •

فلهذا لا تكون النبوة مختصة لمنطقة أو لمرحلة بين الحضـــارة والبــداوة •

الثانى : لقد بعث الله ادريس ويوسف وموسى أنبيـــاء على مصر يوم كانت فى أوج الحضـــارة •

الثالث : أن ظهور الحكماء والنساك فى الصين والهنــد واليونان لا ينافى ظهور الأنبياء فيها وربما كان أولئك الحكماء والنســاك أنبياء أو ورثة الأنبياء نسيهم التاريخ وحشرهم الناس فى زمرة الحكماء كما قرره الشيخ نديم الجسر فى كتابه « قصــة الايمان » •

---

(١) فاطر : ٢٤

وقرر الشهرستانى : أن فلسفة طاليس الملطى وغيره من فلاسفة اليونان كانت من مشكاة النبوة .

* * *

● **بين النبوة .. والعلم .. والحكمة :**

ينكر العلمانيون الملاحدة فضل النبوة على الانسانية ويعترفون بفضل العلم والحكمة ، والحقيقة أن النبوة أصل والعلم والحكمة فرعان من النبوة .

فالنبوة هبة من الله مختصة بمن شاء من عباده الصالحين وهى لا تورث .

أما العلم والحكمة فثمرتان من ثمرات النبوة يرثهما العلماء والحكماء ليرشدوا بهما الناس أيام الفترة وعند ختم النبوة اذ ما من نبى الا وقد وصفه الله بالعلم والحكمة .

قال فى يوسف : **« ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين »** (١) .

وقال فى سيدنا موسى **« ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين »** (٢) .

وقال فى سيدنا داوود **« وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء »** (٣) .

---

(١) يوسف : ٢٢
(٢) القصص : ١٤
(٣) البقرة : ٢٥١

ثم قال فيه وفي ابنه سليمان : « **ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما** » (١) .

وقال في سيدنا عيسى : « **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل** » (٢) .

وقال في سيدنا لقمان : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة** » (٣)

وقال في الجملة : « **يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** » (٤) .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها » .

وقال في الصحيحين : « لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة وهو يقضي بها ويعلمها » .

أما في التوراة فكانت الحكمة تسير جنبا الى جنب في ركاب واحد مع النبوة ، فلقد نصت التوراة على ذلك في كثير من أسفارها .

ولقد جاء في الاصحاح الحادي والأربعين من « سفر التكوين » في قصة يوسف حين كان يعبر الرؤيا للملك قال بتصرف : « فالآن لينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا

---

(١) الانبياء : ٧٩
(٢) آل عمران : ٤٨
(٣) لقمان : ١٢
(٤) البقرة : ٢٦٩

فيه روح الله ؟ ثم قال ليوسف : بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك » •

وفى سفر الخروج الباب الثامن والعشرون قال : « قال الرب لموسى وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لى » •

وفى الحادى والثلاثين منه أيضا : « وكلم الرب موسى قائلا فدعوت بصلئيل وملأته من روح الله بالحكمة والفهم وكل صنعة لاختراع مخترعات » •

وفى التثنية فى الاصحاح الرابع والثلاثين : « ويوشع ابن نون كان قد امتلأ روح حكمة اذ وضع عليه موسى يده » •

وفى سفر الملوك الأول الاصحاح الثالث عقيب حكم النبى سليمان : « ولما سمع جميع اسرائيل بالحكم الذى حكم به الملك خافوا لأنهم رأوا حكمة الله فيه لاجراء الحكم » •

وفى الاصحاح الخامس من السفر المذكور : « وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جدا وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس »

وسفر الأمثال وسفر الجامعة مليئة بالحكم ومدح الحكمة ، وفى سفر أيوب الاصحاح الثانى ينسب الحكمة الى الله ويقول : « وعنده الحكمة والقدرة له المشورة والفطنة » •

وفى الاصحاح الثامن والعشرين منه : « أما الحكمة فمن أين توجد وأين هـو مكان الفهم لا يعرف الانسـان قيمتها ولا توجد فى أرض الأحياء ، الله يفهم طريقها وهو عالم بمكانها ومخافة الله هى الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم » .

وفى سفر دانيال الاصحاح الأول : « أما هؤلاء الفتيان الأربعة دانيال وحننيا وميشائل وعزريا فأعطاهم الله معرفة وعقلا فى كل كتابة وحكمة وكان دانيـال فهيما بكل الرؤى والأحـلام » .

وفى الاصحاح الثانى منه قال : « ليكن اسم الله مباركا من الأزل الى الأبـد لأن الحـكمة والجبروت وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكا ويعطى الحكمـاء حكمة ويعلم العرافين فهمـا » .

وفى انجيل لوقا فى وصف عيسى فى الاصحاح الثانى : « وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة عليـه » الى أن قال « أما يسـوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » .

وفى سفر أعمال الرسل الاصحاح السادس : « فانتخبوا أيها الاخوة سـبعة رجال منكم مشهودا لهم ومملوئين من الروح القـدس وحكمة فنقيمهم على هـذه الحاجة » الى أن قال « ولم يقدروا أن يقاوموا الحـكمة والروح الذى كان يتكلم به استفانوس » .

هذا قليل من كثير مما ورد فى التوراة والانجيل والقرآن من ذكر الحكمة مقرونة مع النبوة كل ذلك دليل ثابت على وجود الصلة بين النبوة والحكمة وأنهما من الله تعالى • يقول الراغب الأصفهانى فى كتابه « الذريعة فى أحكام الشريعة » الباب السادس والسابع : « لقد قرن القرآن بين الكتاب والحكمة فى كثير من الآيات وجعل الكتاب لما يدرك من جهة النبوات وجعل الحكمة لما يدرك من جهةالعقليات وجعل الاثنين وحيا من الله وكل واحد منهما يحتاج الى الآخر ولهذا يقول : **« يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »**[1] •

وقال الشهوستانى فى « الملل والنحل » : « ان الحكمة تنقسم الى قسمين : القسم العملى والقسم العلمى ، وان الأنبياء أيدوا بامدادات روحانية لتقرير القسم العملى وبطرف ما من القسم العلمى ، وان الحكماء تعرضوا لإمدادات عقلية تقريرا للقسم العلمى وبطرف ما من القسم العملى » •

* * *

● معنى الحكمة عند العلماء :

قال الراغب : الحكمة فى تعارف الشرع اسم للعلوم العقلية •

وقال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي في « العواصم

---

(١) البقرة : ٢٦٩

والقواصم » : « ليس للحكمة معنى الا العلم ولا للعلم معنى الا العقل الا أن فى الحكمة اشـــارة الى ثمرة العلم وفائدته » .

وقال الشـــيخ مصطفى عبد الرازق : فى كتابه « تمهيد للفلسفة » : « ان القرآن قد ذكر الحكمة التى كانت معروفة عند العرب وكانت شرفا لأهلها وجاها وأثنى عليهـــا وشجع على احيائها ونموها .

والقرآن انما استعمل الحكمة والحكم وما اليهما فى معانيها اللغوية ، وذكر أن الحكمة معناها اللغوى هى العلم النافع والفقه فى شـــئون الحياة بتعرف الحق فيها وامضائه » [1] .

ومهما يكن الفرق بين الحكمة القرآنية والحكمة اليونانية فلا خلاف عنـــد الحكمتين فى أن الحكمة معرفة الموجودات بحقائقها وكلياتها مع فوائدها .

وقيل هى الاقتـــداء بالخالق فى سياسة الأمور بقـــدر الطاقة البشرية .

وقيل انها اسم لكل علم حسن وعمل صالح واصابة الحق بالعقـــل .

والحكمة أخص من الحكم فكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة .

ونسبة العلوم الى الحكمة كنسبة الأعضـــاء الى البدن ونسبة الرئيس الى المرؤوسين .

---

(١) تمهيد للفلسفة : للشيخ مصطفى عبد الرازق ، ص ١١٧

وللأئمة الأربعة تفسيرات مختلفة للحكمة كل حسب رأيه على أنها لا تعدو أن المراد بها العلم الذى يتصل بالعمل .

* * *

● **العلاقة بين النبوة .. والعلم :**

أما العلم الصحيح فهو أيضا ثمرة من ثمرات النبوة لذلك يصف القرآن كل نبى بصفة العلم قال تعالى : **« وعلم آدم الأسماء كلها »** (١) ، وقال فى داوود **«وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم »** (٢) .

وقرر أن العلم من معطيات الله بقوله تعالى :**« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** (٣) **« ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء »** (٤) ، **« ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »** (٥) .

قرر الاسلام أن العلم الصحيح أيا كان نوعه نصير لدعوة الأنبياء وعمدة لرسالة المرسلين لهذا ربط القرآن بين العلم وخشية الله فى قوله تعالى بعد سياق آيات فى علوم الكون والفلك والطبيعة فى سورة فاطر : **« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن**

---

(١) البقرة : ٣١
(٢) الأنبياء : ٨٠
(٣) الاسراء : ٨٥
(٤) البقرة : ٢٥٥
(٥) البقرة : ١٥١

الجبـــال » [1] ــ الى قوله ــ **« انما يخشى الله من عباده العلمـــاء »** [2] .

وقرر القرآن أن العلم تركة الأنبياء بقوله تعـــالى : **« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا »** [3] .

وجاءت الأحاديث لتفسير تلك الآيات منها : « العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم » الى غير ذلك مما يحقق الصلة ووحدة المصدر بين النبوة والعلم والحكمة .

* * *

● وظائف الأنبياء :

ان جميع الآيات القرآنية التى وردت مرادفة مع ذكر كل رســول تقرر أن أهم ما بعث الله به الرسل هو الدعوة الى توحيد الله وعبادته وارشاد الناس الى النظم والشرائع فى العادات والمعاملات والمثل العالية والقيم الروحية **« ولقد بعثنا فى كل أمة رســولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »** [4] .

ثم البشارة والنذارة لقوله تعالى : **« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »** [5] لم تكن وظائف

---

(١) فاطر : ٢٧
(٢) فاطر : ٢٨
(٣) فاطر : ٣٢
(٤) النحل : ٣٦
(٥) النساء : ١٦٥

الرسل والأنبيــاء قائمة على تعليم الناس العلوم الكونيــة والصــناعات الانســانية فللناس فى تجاربهم ما يغنيهم عن هداية الرسل .

ولكن أبا محمد بن حزم الأندلسى يرى أن الأنبياء والمرسلين قد اشتركوا فى تعليم الصناعات والعلوم الى حد كبير مضافا الى وظيفتهم الدينية ، وقال ما نصه : « صح أن الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجودا حتى خلقه الله فبيقين أن العلوم والصناعات لا يمكن ألبتة أن يهتدى اليها أحــد بطبعه دون تعلم كالطب للأمراض والعلاج بالعقاقير التى لا سبيل الى تجريبها كلها الا فى عشرات آلاف من السنين ، وكعلم النجوم ومعرفة دورانها فى أفلاكها مما لا يتم الا فى عشرات آلاف من الســنين ، وكالحرث والحصاد والطحن والعجن والطبخ وتربيــة المواشى واستخراج المعادن وعمل الأبنية وكل هــذا لا سبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم ، فوجب بالضرورة أنه لابد من انســان واحد فأكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحى حققه عنده وهــذه صفة النبوة » .

ومعنى ذلك أن الأنبياء هم الذين ابتدأوا معرفة هــذه الأشــياء قبل أن تعم ، على أن فى قصص كثير من الأنبياء والمرسلين ما يدل على اشتراكهم فى وضع قواعد العلوم والمعارف والصنائع الى جانب وظائفهم الروحية التى هى الأصل فى ارسالهم ، هــذا وان الاعتراف بأن الأنبياء اشتركوا فى وضع

قواعد المعارف والصناعات ليس من أوصاف النقص بل من أوصاف الكمال .

فأبونا آدم أول من علمه الله علم الطبيعة والحياة وخاصيات النباتات وكل ما يدخل تحت معنى قوله تعالى : **« وعلم آدم الأسماء كلها »** (١) .

وسيدنا نوح أول من علمه الله صنعة الفلك البحرى فصنعه بعين الله ووحيه كما قال تعالى : **« واصنع الفلك بأعيننا ووحينا »** (٢) .

وسيدنا ادريس أول من خاط الثياب ووضع قواعد علم النجوم الفلكى كما هو مشهور فى كتب التاريخ .

وسيدنا يوسف أول من أفاد العالم بالاقتصاد الزراعى كما فى سورته

وسيدنا موسى أول من وضع قواعد السياسة والحكومة وقواعد الحرب والسلم بما أوضح الله كل ذلك فى التوراة بقوله تعالى : **« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور »** (٣) .

وقرر القرآن أن الله تعالى علم سيدنا داوود صنعة الدروع والأسلحة للتحصن والدفاع كما فى قوله تعالى : **« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم »** (٤) .

---

(١) البقرة : ٣١ (٢) هود : ٣٧
(٣) المائدة : ٤٤ (٤) الأنبياء : ٨٠

فان حشر ذى القرنين صانع السد ولقمان الحكيم والخضر العالم اللدنى فى زمرة الأنبياء آكمل وأشرف لرسالات الأنبياء وأخلد لآثارهم الملموسة فى تاريخ المعارف والعلوم الانسانية وأبلغ لافحام الملحدين الذين يقللون من قيمة آثار النبوة والأنبياء ويضيقونها فى الغيبيات والروحيات فقط .

واذا أخرجنا لقمان من الأنبياء وحشرناه فى الحكماء ترجحت الحكمة وارتفعت قيمة الحكماء لأن الله مدح واحدا منهم ، واذا حشرناه فى زمرة الأنبياء ثقل ميزان النبوة .

فماذا علينا لو جمعنا بين الحكمة والنبوة فى كفة واحدة ووضعنا كفة المعارف والعلوم الانسانية فى كفة أخرى لاعجاز المتبجحين بالحكمة ، ان الحكمة الصحيحة من آثار النبوة انما اقتبسها منهم غير الأنبياء وان المعارف الانسانية انما وضع قواعدها الأنبيــاء الأولون .

***

● **دليل ختم النبــوة :**

عقــد الامام محمد عبده فى كتابه « رسالة التوحيد » مقالا تحت عنوان « ترقى الأديان بترقى الانسان » جاء فيــه بتصرف : « جاءت الأديان والانســان فى طور الطفولة لم ينفث فى روعه ما يعطفه على بنى جنسه هل كان يحرص على

ما يقيم بنـــاء شخصه فلم يكن من حكمة الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف الوجدان بل كان من عظيم الرحمة أن يسير بهم فى سذاجة السن لا يأتيهم الا من قبل ما يحسونه بسمعهم وبصرهم وجاءت من الآيات ما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هـذه ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها أقوام وارتفعت فجاء دين يخاطب القلوب فشرع للناس من الشرائع ما يوجههم نحـو الملكوت الأعلى ، ولمـا كانت سن الاجتماع البشرى قد بلغت بالانسان أشـــده وأعادته الحوادث الى رشده جاء الاســـلام يخاطب العقـل » .

فمثل سبق نبوة الأنبياء على نبوة سيدنا محمد ﷺ كمثل سبق ظهور النباتات والحيوانات على ســطح الأرض تمهيدا وتوطئة لظهور الانســـان .

فالانسان هو المقصود الحقيقى لعمارة الأرض فلا شىء أرقى منه يخلفه على وجـه الأرض . والنبى محمد ﷺ هو المقصود الحقيقى للنبوة الالهية والرســالة السماوية فلا نبى أرقى منه يخلفه على وجـه الأرض انما سبقت نبوة الأنبياء قبله تمهيدا لظهوره .

فاذا كان لا يخلف الانسان خلق آخر على وجـه الأرض فلا وجه لأن يخلف محمدا ﷺ رسول آخر ، والمطلع على النبوات السابقة لا يتردد فى التسليم بأن نبوة محمد ﷺ أرقى الجميع ،

والناظر فى الرسالات الماضية لا يشك فى أن رسالة محمد ﷺ أكمل جميع الرسالات ، والقارىء للكتب السماوية السابقة لا ينكر أن القرآن أكمل ما يطلق عليه الوحى المنزل من الله على البشر .

وعليه يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : « والواقع أن النبوة الاسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة كما كانت عقيدة الاسلام مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بنى الانسان فى الاله » .

وعلى هذا الأسلوب وبهذا المعنى نستطيع أن نفهم معنى ختم النبوات بسيدنا محمد ﷺ .

* * *

● جواز الخطأ والنسيان على الأنبياء :

اتفق علماء الاسلام على أن الأنبياء المرسلين معصومون عن تعمد الكبائر بعد النبوة والرسالة وجواز الخطأ والنسيان عليهم فيما دون الكبائر وفيما لم يوح اليهم وهذا هو الراجح فانهم معصومون عن الخطأ فى كل ما يتصل بالوحى من أمور الدين وليسوا بمعصومين عن الخطأ فيما لم ينزل فيه الوحى من أمور الدين والدنيا معا ولكن الله لا يقرهم على مثل هذا الخطأ بل ينبههم أو يعاتبهم عليه .

مثال ذلك ما وقع فى أسرى بدر حيث أخذ المسلمون

الفداء عن أسارى بدر فجاءت الآية : « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض** » (١) .

وكذلك نزلت فى المخلفين بقوله تعالى : « **عفا الله عنك لم أذنت لهم** » (٢) .

ومن أمثلة أخطائهم فى أمور الدنيا نزول النبى ﷺ بمنزله فى بدر فرأى أحد الصحابة ـ الحباب بن المنذر ـ أن النزول فى غيره أفضل فتحول النبى ﷺ الى رأى الحباب .

وكذلك نهيه عن تلقيح النخل بقوله ﷺ : « لو تركتموه لأثمر » . فتركوه ولم يثمر ولما أخبروه قال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلته من قبل نفسى فانما أنا بشر أخطىء وأصيب » (٣) .

ويجوز عليهم النسيان بعد التبليغ لقوله تعالى : « **سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله** » (٤) .

وجاء فى الحديث « انى لا أنسى ولكن أنسى للتشريع » كسلامه من ركعتين لحكمة بيان جبر الصلاة بالسجود .

ويجوز عليهم كل ما لا يؤدى الى النقص من الأعراض

---

(١) الأنفال : ٦٧ (٢) التوبة : ٤٣
(٣) انظر الشفا : للقاضى عياض
(٤) الأعلى : ٦ ، ٧

البشرية كالأكل والشرب والنـــوم والزواج الحــلال والمرض الخفيف •

* * *

● جواز تعلم الأنبياء قبل مبعثهم :

من الأنبياء من تولى الله تثقيفهم بنفسه ولكنهم قليلون منهم آدم الذى علمه الله الأسماء كلها • ويحيى الذى آتاه الله الحكم صبيا • وعيسى الذى تكلم فى المهد •

ومنهم من وكل الله تثقيفهم الى البيئة والظروف المحيطة بهم لذلك لم يكونوا يبعثون الا على رأس الأربعين من العمر وذلك لكمال الرشد ورجاحة العقل ونضوج الثقافة •

واذا كان من صفات الكمال للأنبياء الذكاء والفطانة فان تثقيفهم بثقافة زمانهم التى تكمل بها فطانتهم وذكائهم قبـــل نزول الوحى عليهم مما يجوز عليهم شرعا وعقلا ، لأن الجهل بما يعلمه أهل زمانهم لا شك يقدح فى شرفهم الا ما كان على سبيل الاعجاز كابقاء النبى محمد ﷺ على الأمية اثباتا لمعجزة القرآن على حـــد قوله تعالى : « **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون** » (١) •

ومما يدل على تعلم الأنبياء قبل مبعثهم ما روى السيوطى

---

(١) العنكبوت : ٤٨

فى « الاتقان » : « عن ابن فورك أنه أنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبى يكتب ويقرأ وهو موسى ، وأنزل القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبى أمى » يؤخذ من ذلك أن موسى تعلم الكتابة والقراءة قبل مبعثه .

وذلك مما يدل على أن سيدنا موسى قد تثقف بالثقافة القبطية على بلاط فرعون قبل خروجه الى «مدين» لذلك سهل أن يقرأ التوراة المنزلة عليه وأن ينسخ ما تحطم منها فى الألواح بالكتابة القبطية والعبرية .

* * *

● **المتنبئون :**

المتنبؤن أشكال وألوان منهم الكهنة كما سبق بيانه فى أول الكتاب وعلى نحو ما روى البخارى أن أناسا سألوا رسول الله ﷺ عن الكهانة فقال : « ليس بشىء » قالوا : يارسول الله .. انهم يحدثون أحيانا بشىء ويكون حقا . قال : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى ويقرها فى أذن وليه ويخلقون معها مائة كذبة » .

ومثاله عبد الله بن الصياد الذى ظهر فى آخر أيام النبى ﷺ وكان يتنبأ بالغيب فيتفق بعض ما يقول حتى كاد الناس يفتتنون به فاختبره النبى ﷺ وسأله عن كيفية اتيانه الأمر فقال : يأتينى كاذبا أو صادقا . فلما سأله النبى ﷺ عما ادخر له

---

(١) الاتقان : للسيوطى ، ج ١ ، ص ٤١

ـ وكان قد ادخر له سورة الدخان ـ فقال : الدخ الدخ . فقال له النبى ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك » . فلم يلبث حتى تبين أنه كاهن من الكهـان .

ولقد ظهر أمثاله فى كل عصر من عصور الأنبياء الماضين .

لقد أشارت التوراة الى مثل ذلك حيث جاء فى الباب الثامن من « سفر الملوك الأول » ما نصه ، « ثم قال ايليا للشعب أنا بقيت نبيا للرب وحدى وأنبياء البعل أربعمائة وخمسـون رجلا فليعطوا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطعوه ويضعوه على الحطب ولكن لا يضعون نارا وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع نارا ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب الواحد الذى يجيب بنار فهو الله »

ولعل هـذا هو المشار اليه فى القرآن بقوله تعالى : **« الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار »** (١) .

وجاء فى الانجيل فى الاصحاح السابع من « انجيل متى » فى العهد الجديد : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ، من ثمارهـم تعرفونهم » .

وفى الاصحاح الرابع والعشرين منه يقول : « ويقوم أنبياء

(١) آل عمران : ١٨٣

كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين» — الى قوله — « لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة يعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين ها أنا قد سبقت وأخبرتكم » .

وروى الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » .

ومصداقا لذلك ظهر من المسلمين بعض من يتعاطون السحر بمعرفتهم أسرارا خفيت على الكثير من الناس فاتخذوها معجزة لهم فادعوا بها النبوة ، وكان لهم قرناء من الشياطين يخبرونهم بالمغيبات .

منهم مسيلمة الذي ظهر في آخر أيام النبي ﷺ وتبعه خلق كثير باليمامة ولم يقض النبي ﷺ في أمره شيئا حتى انتقل الى الرفيق الأعلى وبعث اليه سيدنا أبو بكر جيشا عرمرما بقيادة خالد بن الوليد فهزموا جماعته وقتلوه

ومنهم الأسود العنسي ادعى النبوة وكان له من الشياطين أعوان يخبرونه بمغيبات حتى صار المسلمون يخافون من أمره فبعث النبي ﷺ اليه سرية ظفروا به بمعاونة امرأته التي تزوجها الأسود بعد أن قتل أباها .

ثم ظهر في زمن عبد الملك بن مروان رجل يسمى

الحارث الدمشقي كان يعمل الخوارق ولما كشف المسلمون أمره قتلوه .

ومن المتنبئين بعض الشعراء العازفين على آلات الطرب كأصحاب الزار الذين يخاطبون الجن أو الشعراء الذين يستوحون قرناءهم في املاء الشعر عليهم كأمية بن أبي الصلت وأحمد المتنبي .

ومن المتنبئين المضحكون الذين ليسوا سليمى الطباع ، أو الدجالون الذين تستروا وراء الأغراض كغلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة والمهدوية معا في الهند ولم يكن له من الشياطين غير الانجليز .

أو كمحمد على الذى تلقب بالباب وقام بينه وبين حكومة فارسية قتال عنيف في حروب دامية قبل أن يتغلبوا عليه .

هكذا وجدنا في كل عصر من العصور من يدعى النبوة .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » (١) .

* * *

● بين النبوة والولاية :

لقد ذكرنا في أول الكتاب الأسباب التى من أجلها ختم الله النبوات بسيدنا محمد ﷺ وأكمل برسالته رسالات السماء وعقب

---

(١) الأنعام : ٩٣ .

بكتابه الكتب السماوية وأبقاه حقا ناطقا تالدا خالدا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولكن الله تعالى لما رفع بساط الوحي والنبوة والمعجزة وضع مكانه بساط الالهام والرؤيا والكرامة في الولاية .

والولاية : هي منزلة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وهي منزلة الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين .

ولقد كانت هذه المنزلة موجودة قبل أيام النبوة وكان مع الأنبياء السابقين عدد من الأولياء الصالحين كالذى عنده علم من الكتاب عند سليمان ؛ ورجل مؤمن من آل فرعون ، وأصحاب الكهف وصاحب يس — ولعله المسمى عند النصارى بـ « استفانوس » — على القول بأنه ليس نبيا ولكنه عند النصارى نبى .

والولاية ظل من ظلال النبوة وأثر من آثارها لذلك جاز أن تكون للأولياء كرامة كلما جاز أن يكون للأنبياء معجزة .

والولى : هو القريب من الله وناصره وحبيبه وفى الحديث القدسى « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشيء أحب الى مما افترضته عليه ولا يزال يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به

وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ؛ فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى »

قال بعض العلماء « الفرائض الالهية رؤوس أموال العبد فى طاعته لمولاه والنوافل أرباحه التى يتقرب بها الى مولاه وبالمحافظة على الفرائض مع زيادة النوافل يصير الانسان وليا »

هذا آخر الكتاب ، والله أعلم بالصواب .. واليه المرجع والمـآب .

* * *

أهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الكتاب المقدس

٣ ـ الصحيحان ـ للشيخين .

٤ ـ الفصل فى الملل والنحل ـ لابن حزم .

٥ ـ الملل والنحل ـ للشهرستانى

٦ ـ المقدمة ـ لابن خلدون .

٧ ـ الوحى المحمدى ـ للشيخ محمد رشيد رضا .

٨ ـ حقائق الاسلام ـ للأستاذ عباس محمود العقاد .

٩ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة ـ للراغب الأصفهانى .

١٠ ـ دائرة المعارف للقرن العشرين ـ للاستاذ محمد فريد وجدى .

١١ ـ قصة الايمان ـ للشيخ نديم الجسر

١٢ ـ تاريخ الأديان وفلسفتها ـ للأستاذ طه الهاشمى

١٣ ـ جوهرة التوحيد وشروحها ـ لابراهيم اللقانى وعبد السلام .

١٤ ـ العقائد الاسلامية ـ للأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميدانى .

١٥ ـ العقائد الاسلامية ـ للشيخ السيد سابق .

١٦ ـ رسالة التوحيد ـ للامام محمد عبده .

١٧ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن ـ للأستاذ محمد عبد العظيم الزرقانى .

١٨ ـ الأنبياء فى القرآن الكريم ـ للأستاذ محمود الشرقاوى

محتويات الكتاب

الصفحة

بين يدي الكتاب
(١٩ ـ ٤١)

الفصل الأول : فلسفة النبوة في حدودها وابعادها
(٤٣ ـ ٦٩)

الفصل الثاني : الوحي ...
(٧١ — ٨٩)

الصفحة

الفصل الثالث : النبوة والرسالة
(٩١ — ١٣٤)

الفصل الرابع : النبوة والرسالة عند اهل الاسلام

(١٣٥ — ١٨٨)

الصفحة

الترقيم الدولى ٤ — ١٧٠ — ٣٠٧ — ٩٧٧

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٨٣/٣٣١٧

كتب للمؤلف

١ ــ الاسلام فى نيجيريا وعثمان بن فودى (الطبعة الثانية) ١٩٧١

٢ ــ نظام التعليم العربى وتاريخه (الطبعة الثانية) ١٩٦٧

٣ ــ موجز تاريخ نيجيريا (الطبعة الأولى) ١٩٦٤

٤ ــ الاسلام وتقاليد الجاهلية (الطبعة الثانية) ١٩٧٧

٥ ــ تاريخ الدعوة الاسلامية (الطبعة الثانية) ١٩٨٠

٦ ــ توجيه الدعوة والدعاة (الطبعة الأولى) ١٩٧٩

٧ ــ تاريخ الدعوة الى الله بين الأمس واليوم (الطبعة الأولى) ١٩٧٩

● بالاضافة الى كتب مدرسية أخرى تبلغ عشرين كتابا .